نظريةُ نهاية التاريخ بين فوكوياما والأسس القرآنية
دراسةٌ مقارنةٌ

علي حسين عبد الخفاجي
د. رياض عبد الرحيم الباهلي
جامعة المصطفى العالمية

The End of History Theory: Fukuyama and Quranic Foundations (A Comparative Study)

Ali Hussein Abdul-Khafaji
Dr. Riyadh Abdul-Rahim Al-Baheli
Al-Mustafa International University
Email: ali.hseenka1977313a@gmail.com

ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة معرفة نظرية نهاية التاريخ للمفكر الأمريكي من أصل ياباني "فرانسيس فوكو ياما" باعتبارها الصرخة العالمية الأخيرة التي أيقظت الفكر الإنساني المعاصر، وله نظرة على كل ما جاء في كتابه "نهاية التاريخ وآخر البشر" الذي يكشف عن مجموعة من الأفكار ، والتصورات التي صيغت على أنّ نظام سوف يحكم العالم حيث كان فوكو ياما يصر على أنّ البشرية قد وصلت إلى نهاية التاريخ فيما يتعلق بالنظام السياسي، ولا سيما بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، وأنّ الديمقراطية الليبرالية ستنتصر لأنها –حسب اعتقاده –خالية من العيوب، وأنّ هذه الديمقراطية المتحررة، ونظامها الاقتصادي الذي يتحكم فيه السوق، هما البديلان الوحيدان للمجتمعات الحديثة، وكان الهدف هو تحليل ونقد نظرية نهاية التاريخ لفوكو ياما من حيث البناء الداخلي ، وأساسها الفلسفي ونقد نظامها الديمقراطي وبيان الأسس القرآنية لنهاية التاريخ ، باعتبار أنّ القرآن منهاج للإنسان في تنظيم شؤون حياته على المستوى الفردي والاجتماعي ، كما يبين النظام الذي ينتهي به التاريخ وأساسات هذا النظام من جهة وضع نظام بناء الدولة ومن جهة الحاكم الذي يكون راعيا له ، وبيان صفات كل منهما وطرح القرآن نموذجًا وهي حكومة الإمام المهدي عليه السلام التي تملأ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملأت ظلما وجورا ، وينتهي البحث ببطلان نظرية نهاية التاريخ بالديمقراطية وأنَّ التاريخ سينتهي بنظام رباني محكم؛ ولتحقيق هذا البحث عملت على استعمال كل من المنهج الوصفي التحليلي النقدي لنظرية نهاية التاريخ، وذلك من أجل استقراء مفاهيم ومصطلحات الدراسية للعودة إلى جذور فلسفة التاريخ ، والتركيز على مفهوم نهاية التاريخ عند بعض المفكرين والفلاسفة، وأبرز الجوانب التي يمكن لفوكو ياما أن يتأثر بها من المفاهيم السابقة ؛ لانّ تناوله لنهاية التاريخ لم يكن من العدم أو من ابتكاره، والكشف عن محتواها السياسي وعلى ماذا تعتمد في صياغتها، وأيضا ومعرفة أصولها هل هي من إبداعات فوكو ياما أم انه أخذها من غيره، وأنها كانت

مطروحة من قبل الحكومات الماضية وتحدث عنها العلماء السابقين ، ونقد النظام الداخلي للنظرية وتناقضات فوكو ياما فيها ، وتحليل الأفكار التي تتضمن الأطروحة ومحتواها الفكري ، واستخلاص الحقائق والنتائج المرجوة من الدراسة للوصول إلى هدف من أطروحة نهاية التاريخ.

الكلمات المفتاحية: نظرية نهاية التاريخ، الأسس القرآنية، الديمقراطية، فلسفة التاريخ، لفوكو ياما.

Abstarct

This study aims to address the theory of the end of history by the American thinker of Japanese origin, Francis Fukuyama, as it is the last global cry that awakened contemporary human thought. He has a look at everything that was mentioned in his book “The End of History and the Last of Mankind,” which reveals a set of ideas and perceptions that were formulated. However, a regime will rule the world, as Foucault Yama insisted that humanity has reached the end of history with regard to the political system, especially after the fall of the Soviet Union, and that liberal democracy will triumph because - according to his belief - it is free of defects, and that this liberal democracy and its system Economic and market-controlled are the only two alternatives to modern societies. The goal was to analyze and criticize Fukuyama’s theory of the end of history in terms of its internal structure and philosophical basis, criticize its democratic system, and explain the Qur’anic foundations for the

end of history, considering that the Qur'an is a method for man in organizing the affairs of his life on the individual and social level. It also shows the system with which history ends and the foundations of this system in terms of establishing The system of building a state, from the side of the ruler who is its shepherd, and explaining the characteristics of each of them, and presenting the Qur'an as a model, which is the government of Imam Mahdi, peace be upon him, which fills the earth with fairness and justice after it was filled with oppression and injustice. The research ends with the invalidation of the theory of the end of history with democracy, and that history will end with an elaborate divine system. To achieve this research, I worked to use both the descriptive and critical analytical method of the theory of the end of history, in order to extrapolate the concepts and terminology of scholarship to return to the roots of the philosophy of history and to focus on the concept of the end of history according to some thinkers and philosophers, and the most prominent aspects that Fukuyama can be influenced by from the previous concepts, Because his approach to the end of history was not from nothing or his invention, and revealing its political content and what it depends on in its formulation, and also knowing its origins. Is it one of Fukuyama's creations, or did he take it from others, and that it was proposed by past governments and previous scholars

talked about it, and criticizing the internal system of the theory and its contradictions? Fukuyama in it and analyze the ideas that include the thesis and its intellectual content and extract The facts and desired results of the study to reach the goal of the end of history thesis .

Keywords: The theory of the end of history, Qur'anic foundations, human thought, philosophy of history, by Fukuyama.

المقدمة

تسارعت الأحداث في العقد الماضي بعد انتهاء الحرب الباردة ، وأخذ الحديث عن تغيير في السياسة العالمية عن طريق إعلان ولادة جديدة من الصراعات ، فهذا الوضع الدولي الجديد بما به من ظروف أتاح الفرصة للسياسيين والمفكرين الأمريكيين لصياغة النظام الدولي الجديد ، الذي يتجسد بضمان التفوق والانفراد الأمريكي بمقومات القوة والهيمنة العالمية وبالتزامن مع هذه الأحداث والاضطرابات السياسية العالمية ، ظهرت أطروحة نهاية التاريخ بنظام يسود العالم هو الانتصار العالمي لديمقراطية الليبرالية الاقتصادية ، أي نهاية المجال السياسي والاقتصادي في التاريخ ، ففكرة نهاية التاريخ ليست فكرة أصيلة ووليدة النظام الأمريكي بل وإنّما أسس لها دعاة فاشتهربها كل من هيغل وكارل ماركس ، فهذا الأخير يعتقد أنّ اتجاه تطور التاريخي كان واحد هادف يحدد التفاعل بين القوى المادية وسيأتي نهايته في تحقيق الشيوعية وانتصارها ، أمّا هيغل ينطلق من مفهوم التاريخ باعتباره سيرورة ديالكتيكية مع بداية للوصول إلى النهاية حيث يعتبر أن تاريخ يتوج بشكل نهائي وعقلاني في انتصار مجتمع ودولة ، فاعلان نهاية التاريخ في ١٨٠٦م من خلال الثورتين الفرنسية والأمريكية التي أوصلتنا نهاية التاريخ والتي تتجسد في الليبرالية الديمقراطية ، ويعدّ موضوع نهاية التاريخ من مواضيع الساعة ومن القضايا الساخنة التي لا تزال تبحث لحد الآن ؛ ذلك لما لها من تداعيات لم تتوقف في العالم ولا تزال تظهر واحدة تلو الأخرى

علي صعيد الأحداث العالمية اليوم ، وخاصة العالم الغربي ولهذا فان نظرية نهاية التاريخ ولدت في حقول الفلسفة ثم انتقلت إلى حقل السياسة مع فرانسيس فوكو ياما مستندا إلى مجموعة من المرتكزات الفكرية والثقافية والسياسية والإيديولوجية في سياقها المتشعب ، محاولة لتبرير واقع عالمي صنع دولة مثالية تتمحور في الديمقراطية الليبرالية إذا هي النظرية التي أصبحت اليوم محط عناية مختلف الاكاديميين والسياسيين والمنتظرين حتى الخبراء الاستراتيجيين في العالم بين نهاية هذه النظرية وصمودها ؛ولهذا سوف نبحث هذه النظرية هل أنّ الديمقراطية الليبرالية وليدة اليوم أم لها أساس في التاريخ؟ وهل حققت ما تصبو اليه الشعوب التي عملت بها ، وهل ينتهي عليها العالم أم هناك نظام آخر يحقق العدالة والمساواة بين الناس؟

١ – معنى نهاية التاريخ

التاريخ هو المسار الفكري والسياسي والاقتصادي... إلخ التي تمرّ به حضارات معينة؛ ولكي يتضح لنا مفهوم نهاية التاريخ لابد لنا من تسلسل في التعريفات حتّى الوصول إلى ما نريده من مفهوم جامع الاصطلاح التاريخ.

المطلب الأول: مفهوم التاريخ

إذا كان التاريخ هو المسار الفكري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي ، فلابد من الوقوف على مفهوم التاريخ لكي يتسنى لنا الوقوف على كيفية نهايته وما العوامل المساعدة في ذلك.

التاريخ لغة:

يعرّف التأريخ لغة: أرّخ أي حدّد تاريخه والحادث ونحوه، فصّل تاريخه وحدّد وقته[1]، وقال ابن منظور: "أَرّخَ: التأريخ: تعريف الوقت، والتوريخ مثله، أرّخ الكتاب ليوم كذا: وَقَّتَه، وتأريخ المسلمين: أُرّخ من زمن هجرة سيدنا رسول الله ﷺ فكُتب في خلافة عمر

(١) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية في القاهرة، ١٣ . بتصّرف.

فصار تأريخًا إلى اليوم"[١].

"التاريخ في اللّغة تعريف الوقت وتاريخ الشيء وقته وغايته ، والتاريخ أيضا علم يبحث في الوقائع والحوادث الماضية والحقيقة، قال ابن خلدون أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الّذي هو عمران العالم"[٢].

التاريخ اصطلاحًا:

كما أنّ التاريخ بالمفهوم الاصطلاحي "هو جملة الأحوال والحوادث التي يمر بها كائن ما، وتصدق على الفرد والمجتمع كما تصدق على الظواهر الإنسانية، وعند هيجل التاريخ جزء من الفلسفة ؛ لأنه ليس مجرد دراسة وصفية بل هو أقرب إلى التحليل وبيان الأسباب"[٣].

فالتاريخ في المنهج التاريخي يقصد به: "العلم الذي يبحث في حياة الأمم والمجتمعات والعلاقات التي تقوم بينها"[٤].

والتاريخيّة منهج، بمعنى أنّ كلّ شيء ، أو كلّ حقيقة تتطوّر مع التاريخ، فهو منهج يعتني بدراسة الأشياء والأحداث من خلال ارتباطها بالظروف التاريخيّة[٥].

على هذا تكون الحقائق كلّها تاريخيّة، بمعنى أنّها تتّصف بالنسبيّة التاريخيّة، أيّ إنّها تتطوّر بتطوّر التاريخ. وفي المعجم اللغوي الحديث المعجم الوسيط يشار إلى التاريخ بأنّه (جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها كائن ما ويصدق على الفرد والمجتمع كما يصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية)[٦] ، وفي اللغات الأوربية الحديثة " يشار إلى مصطلح التاريخ بأنّه مشتق من الأصل اليوناني storia الذي يعني القصة والحكاية ، ككلمة history في اللغة الإنجليزية histoire في الفرنسية وكلمة التاريخ الألمانية geschiehte

(١) لسان العرب، ابن منظور، جذر أرخ.
(٢) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ١ / ١٣.
(٣) المعجم الفلسفي، إبراهيم مدكور، ٣٦.
(٤) جدليّة الفهم عند غادامير، حسين الموازني، مجلّة أوراق فلسفيّة، العدد١٠.
(٥) التراث والتجديد موقف من التراث القديم، حنفي حسن، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ١٩٨٠م.
(٦) المعجم الوسيط، مصطفى إبراهيم وآخرون، ١٣.

مشتقة من الفعل geschn ، بمعنى يحدث وهي تطلق على ما يحدث من الأفعال والأحداث معًا ، فهي تشمل الجانبين الذاتي والموضوعي في وقت واحد ، ويفرق عادة الألمان بين التاريخ historik بمعنى تجمع الأخبار والحوادث ، أو فن التاريخ geschichte الذي لا بد فيه من وجهة نظر شاملة عن معناه وغايته"[١].

"يفترض التاريخ استمرارا واتصالا في التطور بحيث يكون الماضي داخلا في تكوين الحاضر والمستقبل، وينقسم التاريخ إلى تاريخ علم العالم ، أو تاريخ خاص ببلد ، أو أمة أو منطقة ، أو فترة من فترات الزمان، ولكن أيا كان الأمر فالتاريخ ينظر إليه أساسا على أنه يؤلف وحدة"[٢].

فالتاريخ علم يجمع المعلومات عن الماضي والتحقق منها ، ثم تفسيرها عن طريق التطور الحاصل على حياة الأمم والمجتمعات والحضارات المختلفة ، ثم يبين كيفية حصول هذا التطور ولماذا حدث فعليه يعد علم التاريخ فرع من فروع المعرفة الإنسانية.

الفرق بين التاريخ والتأريخ :

كيف نستطيع التفريق بين التاريخ والتأريخ في اللّغة والاصطلاح؟ قد يختلط عند بعض تعريف التاريخ والتأريخ فيعتقد أنّ لهما المعنى نفسه، لكن العلماء وضعوا لنا خُلاصة اجتهاداتهم في التفريق بينهما. من حيث التعريف اللغوي قال السخاوي في كتابه الإعلان بالتوبيخ لمن ذمّ التاريخ: "التاريخ لغة: الإعلام بالوقت، يُقال: أرّخت الكتاب، وورّخته؛ أي بيّنت وقت كتابته[٣] ، ويعرّف التأريخ لغة: أرّخ أي حدّد تاريخه والحادث ونحوه، فصّل تاريخه وحدّد وقته"[٤] قال ابن منظور: "أرّخَ: التأريخ: تعريف الوقت، والتوريخ مثله، أرّخ الكتاب ليوم كذا: وَقَّتَه، وتأريخ المسلمين: أُرّخ من زمن هجرة سيدنا رسول الله ﷺ،

(١) فلسفة التاريخ مباحث نظرية، النجار جميل موسى، ٦.
(٢) الموسوعة الفلسفية، عبد الرحمن بدوي، ٢ / ١٥٨.
(٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، السخاوي، ١٤ – ١٧. بتصّرف.
(٤) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في القاهرة، ١٣. بتصّرف.

فكُتب في خلافة عمر- رضي الله عنه- فصار تأريخًا إلى اليوم"[١] ، ومن حيث التعريف الاصطلاحي فإنّ التاريخ هو: "التعريف بالوقت الّذي تُضبط به الأحوال من مولد الرّواة والأئمة، ووفاة، وصحة، وعقل، وبدن، ورحلة، وحج، وحفظ، وضبط، وتوثيق، وتجريح، وما أشبه هذا، ممّا مرجعه الفحص عن أحوالهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم، ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة، من ظهور ملمّة، وتجديد فرض، وخليفة، ووزير، وغزوة، وملحمة، وحرب، وفتح بلد وانتزاعه من متغلب عليه، وانتقال دولة، وربما يتوسّع فيه لبَدء الخلق وقصص[٢] " ، تعريف كلمة التأريخ في الاصطلاح: "التاريخ جملة الأحوال والأحداث التي يمر بها كائن ما، ويصدق على الفرد والمجتمع، كما يصدق على الظواهر الطبيعية والإنسانية، والتأريخ تسجيل هذه الأحوال والمؤرّخ: هو عالم التاريخ"[٣]، ومن حيث تعريف العلماء لكل منهما لقد اختلف العلماء في تعريفهم للتأريخ ما بين كونه بحثًا عن الحقائق التاريخية الثابتة والشّروع بتدوينها، أو ربط هذه الحقائق وطرح الأسباب التي أدّت إلى حدوثها، فمهمة المؤرخ الرئيسية هي البحث عن الحقائق وتقديم التفاسير، وربط الأحداث ببعضها بأسلوبه الخاص وخلفيته المعرفية حول التاريخ ؛ ليكون المؤرخ بذلكَ هو محور الموضوع ؛ لأنّه يقدم رؤيته للماضي بمعطيات الحاضر بما فيه من قضايا ومشاكل؛ ليكون التأريخ بذلك هو عمليةُ تقديرٍ للتاريخ وليس تسجيله [٤] ، والتأريخ هو قيام المؤرخ بتسجيل جميع الرّوايات التاريخيّة المكتوبة والمنقولة ، مستعينًا بذلك بقراءة كلّ ما ورد في الكتب وكلّ ما سمعهُ من النّاس ليقوم بعدها بالحفظ والتدوين [٥] ، ويُطلق لفظ التاريخ على جميع المعلومات الموجودة في الكون من حيث النشأة والمكوّنات والأحداث التي حصلت على الأرض منذ بدء الإنسان إلى اليوم[٦].

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٣- ٤.
(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، السخاوي، ١٧. بتصّرف.
(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في القاهرة، ١٣. بتصّرف.
(٤) تفسير التأريخ، عبد العزيز الدوري وأخرين، ٦. بتصّرف.
(٥) تأريخ العرب في الإسلام، جواد علي، ١٢. بتصّرف.
(٦) منهج البحث التاريخي، حسن عثمان، ١١. بتصّرف.

المطلب الثاني: مفهوم النهاية الأيديولوجيا

من المصطلحات الحديثة في الحضارة الغربية وقد استخدم بشكل واسع ، وأنّ كلمة نهاية في الفلسفة استعملت في أغلب الأحيان مقرونة بكلمة غاية وكأنَّ النهاية لا تكون ألّا بتحقيق الغاية والوصول اليها [١] ، ويبين كار إدوارد أنّ معنى التاريخ مرتبط بمسار التاريخ، ويشير إلى أنّ هذه الفكرة عرفت لدى رجال الدين ، وخصوصا مع اليهود والمسيح الذين افترضوا وجود هدف يتحرك مسار التاريخ اتجاهه والذي يمكن من خلاله أن تتحقق غاية التاريخ[٢] ، ويبين كذلك أنّ هذه الفكرة أي معرفة غاية التاريخ ومسيرته وتحقق نهاية التاريخ انتقلت إلى رواد فكر عصر التنوير بوجهة النظر الغائية الدينية غير أنّهم لم يربطوا الرؤية الدينية بالهدف الذي يسعون إلى توجيه التاريخ نحوه وهكذا أمكن لهم أن يبعثوا الطابع العقلاني للمسار التاريخي نفسه، وأصبح التاريخ عبارة عن تقدم نحو الهدف يتمثل بكمال وضعية الأنسان على الأرض[٣].

"نهاية الشيء غائية وأخرى تقول نهاية الظاهرة آخرها في الزمان ونهاية الجسم حده في المكان ومنه قولنا نهاية الكتاب ونهاية السنة، والنهاية مقابلة للبداية"[٤].

أمَّا الأيديولوجيا فقد عرفها "لالاند" في موسوعته أنّها كلمة ابتكرها "دستوت دوترسي" في كتابه مذكرة حول ملكة التفكير فقال: "وهو علم موضوعه دراسة الأفكار والمزايا وقوانينها وعلاقاتها مع العلامات التي تمثلها وبالأخص أصلها"[٥]، أن الأفكار التي يحملها الناس لكي يعرف الصحيح منها من الخطأ تدرس بواسطة الأيديولوجيا التي هي علم الأفكار. وقد عرفتها موسوعة "اشيت" على أنّها "مذهب وضعه (ذي تراسي) لاستبدال الميتافيزيقيا التقليدية بالدراسة العلمية للأفكار بالمعنى العام لظواهر الوعي ،

(١) الموسوعة الفلسفية العربية المجلد الأول (مادة نهاية لجورج زيناتي)، زياد معن، ٨٢٠.
(٢) ما هو التاريخ، كار إدوارد، ١٠٤.
(٣) المصدر نفسه ، ١٠٥.
(٤) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ج٢، ص٥٠٩.
(٥) موسوعة لالاند الفلسفية، اندريه لالاند، ترجمة خليل احمد خليل، المجلد الأول، ص ٦١١.

وهي مجموعة من الأفكار الفلسفية السياسية الأخلاقية والدينية الخاصة بحقبة ، أو جماعة اجتماعية مثلا أيديولوجيا عصر التنوير"[١].

أمّا موسوعة الأبجدية لاروس "فالأيديولوجيا تشير إلى الطريقة التي يدرك بها الأفراد علاقاتهم بالطبيعة وبالأفراد الآخرين تسعى الأيديولوجيا إلى إدماج الأفراد في البنية الاجتماعية لأن تزودهم بمعرفة دقيقة"[٢].

٢- مفهوم نهاية التاريخ قبل فوكو ياما

في هذا المبحث نتناول مفهوم نهاية التاريخ حسب التتبع الزمني ؛ ولهذا سنعرضها بدأ من الفلسفة اليونانية وصولا إلى العصر الحديث والمعاصر.

المطلب الأول: نظرة الفكر اليوناني لنهاية التاريخ :

يؤمن الفكر الشرقي عموما بفكرة نهاية التاريخ، لكنه لا يفصح عنها إلاّ في متون الترانيم، ذات الطابع الميتافيزيقي والأخلاقي "كما آمن الفراعنة بفكرة النهاية؛ لأنّ الموت هو نهاية الزمن البشري وبداية السّرمدية أي اللازمن، فالفرعون يمثل الخلود، حتى في حالة موته لا يعتبر موته فناءً بل وجها آخرا للخلود؛ ولذا كانت العقائد الوثنية الفرعونية، تؤكد في طقوسها على ضرورة دفن الفرعون مع ماله وخدمه وحشمه في أهرامات مميزة، معتقدين أنّ الموت مجرد حلقة بين الفرعون كنصف إلـه والفرعون كإله"[٣].

قال عبد القادر بو عرفه: "أكدت الأساطير اليونانية على مقولة وفكرة نهاية التاريخ والعالم، ثم جاء الخطاب الفلسفي ليعطي لها أبعادا ومميزات جعلت من الفكرة قاعدة ومبدأ لكل خطاب ميتافيزيقي أو ثيولوجيا، وهكذا فإنّ أفلاطون في محاوراته استعمل الأسطورة كبرهان وبيان، ووظّف مفاهيم الميثولوجيا [٤] توظيفا مثاليا، فهو يجعل من نهاية

(١) DICTIONNAIRE HACHETTE ENCYCLOPEDIQUE ,HACHETTE LIVRE, P799

(٢) ENCYCLOPEDIE ALPHABETIQUE LAROUSSE , P 932

(٣) تاريخ العلم، تاتون، رونيه، ترجمة علي مقلد، ١ / ٧٦.

(٤) علم الميثولوجيا: هو مفهوم يطلق على علم الأساطير الذي يختص بالقصص التاريخية القديمة التي ترتبط ارتباط وثيق ببعض الثقافات والمجتمعات القديمة.

التاريخ حتمية ديالكتيكية، تحدث عندما يختفي "الشبح" ، ويبرز "المثال" متعاليا عن كل ما هو مادي، إنّ نهاية التاريخ لا تكون بالحرب -كما يعتقد أهل اسبرطة- بل تتم عندما يحدث التطهير الذاتي المبني على مبدا التأمل العقلي الخالص، والجدل الصاعد والنّازل ، فالدّيالكتيك هو صعود أو تقدم نحو الكمال، عندما يصل إلى نقطة الاكتمال يتحد الفرد مع الجوهر مشكلا المطلق الذي هو الخير"[١] ، ويقول فتحي التريكي في هذا الصدد: "فالديالكتيك هو الصعود الذي يصل بنا درجة فدرجة إلى معرفة الجوهر في حدّ ذاته، نعني الخير المطلق"[٢].

أمّا أرسطو طاليس، فيجعل نهاية التاريخ حتمية اجتماعية مبنية على قاعدتين الأنا المتعالية والتي يمثلها المواطن الاثني فقط، علما أنّ الإنسان خارج حدود أثينا يمثل الإنسان التوحش والبربرية.

والقاعدة الثانية، مؤسسة على القوة التي تتجلى في الحرب العادلة التي تهدف إلى أنسنه المتوحش. وبناء على ما سبق فإن أرسطو جعل من الإسكندر المقدوني النموذج الذي يحقق فكرة نهاية التاريخ، وأغرقة (نسبة إلى الإغريق) العالم القديم مثلما يحاول الساسة الأمريكيون اليوم فعله أي أمركة العالم ، إن غزو الإسكندر للعالم القديم كاد أن يحقق أهدافه لو لم يمت الإسكندر في الثلاثين من عمره، وبعد محاولة اليونان لإنهاء التاريخ جاء دور الرومان وقد داعبهم حلم رومنة العالم عن طريق القوة ومبدأ السيادة على الأرض، غير أنّ ظروفا اجتماعية وأخرى كونية منعت الرومان من تحقيق مقولة "الأرض للرومان" رسخت في أذهان الرومان عقائد ثلاث: شعب مارس لا يجلو أبدا عن أرض غزاها، شباب روما لا يذبل، حدود روما لا تتزحزح ذكرها مونتيسكو في كتابــه "أسباب عظمة وانحطاط الرومان"[٣].

يمكن أن نأخذ بعين الاعتبار الفلسفة اليونانية كتجسيد لفكر نهاية التاريخ، لكن

(١) الأساس الأسطوري لنهاية التاريخ، عبد القدر بو عرفة، مجلة Insaniyat، إنسانيات ، ١١/ ٢٠٠٠.
(٢) أفلاطون والديالكتيكية، التريكي فتحي، ٦١.
(٣) تأملات في تاريخ الرومان أسباب النهوض والانحطاط، مونتيسكو، ١٤٤.

ليس كما هو عليه اليوم، فمثلا عند كلّ من أفلاطون وأرسطو نجدهم تحدثوا عن الجانب السياسي في فكرهم الفلسفي ، وأعطوا أبعادا ومبادئ وأساسيات للوصول إلى الدولة المثالية عبر رؤيتهم الخاصة، فأفلاطون بنظريته المثالية التي تحدد بداية الإنسان ونهاية التاريخ الّذي يكون بارتقاء الروح الإنسانية من عالم الواقع إلى عالم المثل، حيث جمع بين النزعة الروحية والنزعة العقلية ؛ وذلك عن طريق إيمانه بالفلسفة التي تستطيع أن تخلص النفس وتدخلها النعيم، وحتى وإن كانت فلسفة أفلاطون المثالية كما هو متداول لا يخفي أنّ أفلاطون استعمل العقل في تحقيقه لنظريته السياسية في كتابه "الجمهورية" وذلك عبر الرسالة التي أراد أن يوصلها ، والتي تحتوي داخلها عن تعاليم أخلاقية، صنع مواطن صالح، الحاكم "فيلسوف" ؛ ولذلك يجدر بنا أن نتأمل في فكره إبان الأزمات التي يتخبط فيها العالم اليوم.

"وفكرة نهاية التاريخ (دون المصطلح) ليست فكرة جديدة أو مُستحدثة، بل هي فكرة كان لها دعاة منذ القدم بدءًا من الفكر اليوناني، فأفلاطون رأي أن نهاية التاريخ تكون بارتقاء الروح الإنسانية من عالم الواقع إلى عالم المُثل، حيث يجمع بين النزعة الروحية والنزعة العقلية وذلك عن طريق إيمانه بالفلسفة التي تستطيع أن تخلص النفس وتدخلها النعيم ، بينما أرسطو في كتابه "السياسة" ربط نهاية التاريخ بنهاية النظم السياسية الفاسدة حيث نقد النظام الأسبرطي ، حيث يبين أوجه ضعف النظام ورأى أنه سينتهي ويسقط ذلك عن طريق الانقلاب للبحث عن نظام سياسي أو سيادة دولة فضلى "[1] ، وهنا ترتبط النهاية عند أرسطو بنهاية النظم السياسية الفاسدة.

وأكد فوكو ياما في كتابه "نهاية التاريخ وخاتم البشر" بالنسبة للفلسفة اليونانية "، فبالرغم من أنّ التقاليد الفلسفية والتاريخية بدأت مع الإغريق فإنّ الكتاب من الإغريق القدماء لم ينهضوا بمثل هذه المهمة فقط، لقد تحدث أفلاطون في جمهوريته عن دور طبيعة معينة للأنظمة، بينما ناقش أرسطو في كتابه السياسة أسباب الثورة وكيفية حلول نوع من

(١) قصة الفلسفة اليونانية، أمين زكي، ١٠٥.

الأنظمة محل نوع آخر"[١].

وهنا يوضح لنا فوكو ياما أنّ نهاية التاريخ عند الحضارة اليونانية لم تحظ بأفق واسع عندهم.

المطلب الثاني: نهاية التاريخ في الأديان

تُعد فكرة نهاية التاريخ في الفكر الفلسفي الديني جزءًا من المنظومة الفكرية الدينية للتاريخ التي كانت تعتمد بشكل أساس على تعاليم الكتب السماوية، ومن مميزات هذه المنظومة "أن العقائد السماوية تجمع على أنَّ الله تعالى قد خلق الكون من العدم، وخلق الإنسان ليؤدي مهمته في إعمار الأرض، ثم ليرجع الإنسان بعد موته يُبعث ويقف بين يدي الله ليحاسبه على أعماله، وتلك كلها تشمل في مسيرة تاريخية بدايتها الخلق ونهايتها البعث والحساب، ورحلة الإنسان بين تلك البداية ، وهذه النهاية تجسد مسيرة التاريخ البشري العام، ومن ثم يغدو يوم القيامة هو غاية التاريخ ونهايته، على أنّ هذه الرحلة قد حظيت على الدوام ومنذ بداية الخلق برعاية الله وعنايته وتوجيهه للإنسان ملأ فيه صفحات للمسيرة التاريخية البشرية، وتجلت تلك العناية بتتابع الرسل والأنبياء الذين يبعثهم الله تعالى ليرشدوا الناس إلى الطريق القويم الذي يريد لهم الخالق إتباعه"[٢].

ارتبطت فكرة نهاية التاريخ لدى اليهود بفكرة المسيح المخلص التي اتخذوا منها تجديدًا للعهد الذي قطعه الله مع أنبيائه إبراهيم ويعقوب وموسى (عليهم السلام) بأن يجعل من بني إسرائيل شعبه المختار، ويمنحهم القدرة لحكم بقاع الأرض كلها، وإذا كان هذا العهد لم يتحقق حسب رؤيتهم، فأنه نتيجة معاصيهم وذنوبهم التي ارتكبوها ولكن لابد أن يأتي اليوم الذي يجيء فيه المسيح المخلص ويجمع شتات بني إسرائيل في القدس التي ستغدو في حينها مدينة لا مثيل لها بين المدن[٣].

(١) نهاية التاريخ وخاتم البشر، فرانسيس فوكو ياما، ٦٥.
(٢) فلسفة التاريخ مباحث نظرية، النجار، جميل موسى، ١٣٥.
(٣) المفصل في فلسفة التاريخ، الملاح، هاشم يحيى، ٨٩.

فنهاية التاريخ مرتبطة لدى اليهود بفلسفة التفوق المؤسسة على قاعدة ثيولوجيا " الاصطفاء الإلهي " ، وبالتالي برزت مقولة شعب الله المختار إنّه تعال جمعي لعرق يعتقد في ذاته الصفوة والخيرة ، وبالتالي إن الأرض لم تخلق إلّا للشعب اليهودي وأن نهاية التاريخ قائمة على مبدأ تحقيق العالمية اليهودية ، وفق الوعد الإلهي والعالمية اليهودية تتجلى كحقيقة في مملكة إسرائيل الكبرى ، وإنّ هذا الهاجس التاريخي جعل اليهود على مرّ الزمان بؤرة الحدث التاريخي ولعل هتلر لم يكن مدفوعا إلى التنكيل باليهود إلّا لكونهم أكثر حضورا في التاريخ البشري[١].

ونجد فيلون مزج بين الدين والفلسفة وهو لا يفصل بينهما فرغم أخذه عن حكماء اليونان واعترافه بعبقريتهم، وإبداعهم إلّا أنه يبدأ بنصوص التوراة وأولها على ضوء الفلسفة[٢]؛ ولهذا قيل أنّ فيلون هو المسؤول الأول عن خلط الفلسفة اليونانية، بالوحي والإلهام الشرقين[٣] ، وكذلك يعرف عن فلسفة فيلون وبالخصوص فكرة الخلاص أنهّا قد انعكست على فكرة نهاية التاريخ إذ انه "استبعد من اليهودية كل طموح سياسي ونقل تصور اليهود من خيرات دنيوية ومستقبل سعيد لشعب إسرائيل إلى وعود بخيرات روحية للنفس الصالحة، وبسيادة الشريعة في العالم، وحتى مسألة التئام شمل اليهود في بلد واحد بعد توبتهم، فأنه يؤولها إلى اجتماع الفضائل في النفس وتناسقها بعد ما تحدثه الرذيلة من تشتت"[٤].

ويمكن أن نستنتج ممّا سبق أنّ فكرة نهاية التاريخ مع الفكر الفلسفي اليهودي بقيت ضمن دائرة الفكر الديني والشعبي، ولم تتبلور لديهم رؤية فلسفية دينية عن نهاية التاريخ عن طريق كتابة تاريخ شمولي يبينون فيه مسيرة التاريخ وغايته.

أمَّا المسيحية لقد ارتبطت فكرة نهاية التاريخ في الديانة المسيحية بفكرة عودة المسيح مرة

(١) الفكر اليهودي السياسي وخاصة مقولة "مملكة إسرائيل الكبرى"، نقد باروخ سبينوزا (B.Spinoza).
(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية في عصورها المتأخرة، المعلة، جميل حليل نعمة، ١٤.
(٣) الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب، بيصار، محمد، ١٥٢.
(٤) تاريخ الفلسفة الأوربية في العرص الوسيط، كرم، يوسف، ٢٤٩.

ثانية إلى العالم ، جالبًا معه يوم الحساب، وافتتاح مملكة السماء المتسمة بالبركات والكمال، كما أنّ فكرة نهاية التاريخ في الديانة المسيحية قد تحدد وقتها وزمانها ضمن تعاليم المسيح بالله سبحانه وتعالى ، كما تبين ذلك من خلال (إنجيل مرقس الإصحاح ١٣آية ٣٢- ٣٣) "وأمّا ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم، بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلّا الأب"[١] ، ويرجع طرح هذه الفكرة إلى زمن السيد المسيح ﷺ عندما كان الناس يتساءلون عن موعد نهاية التاريخ ومجيء ملكوت الله إلى الأرض، ويشير إنجيل متى إلى أنّ تلاميذ المسيح ﷺ قد وجهوا إليه هذا السؤال وهو جالس على جبل الزيتون فقالوا: "قل لنا متى يكون هذا، وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟ فأجابهم إجابة عامة مبهمة عن بعض الظواهر والعلامات التي تسبق ذلك اليوم ثم قال لهم "وأمّا ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السماء، إلا أبي وحده"[٢].

أمّا في الفكر الفلسفي الديني المسيحي فإنّ رائد فكرة نهاية التاريخ هو القديس سان أوغسطين الذي تصور التاريخ الإنساني كله عبارة عن مدة من الزمان تتحقق فيها خطة الله في خلاص الأنسان منذ أن وقع آدم في الخطيئة[٣] ، فقد كانت الظروف بحاجة إلى طرح نظرية تدافع عن المسيحية، إذ كانت الإمبراطورية الرومانية على وشك السقوط ، وكانت الفكرة الشائعة أنّ انحلال الدولة راجع إلى انتشار المسيحية بوصفها بديلًا دينيًا أضعف ديانة الدولة وآلهة الرومان، فتصدى أوغسطين للدفاع عن المسيحية بوصفها مثل اعلى للدولة ، أو مدينة الله على الأرض[٤] ، وتعد محاولة اوغسطين أول محاولة لكتابة التاريخ الشمولي[٥] وقد ترجمت محاولته بكتابه (مدينة الله) الذي هو: دراسة لجميع مظاهر الحياة الروحية والسياسية والعلمية والفنية على امتداد التاريخ إذ حاول من خلالها الخروج برؤية

(١) دراسات في فلسفة التاريخ، الملاح، هاشم يحيى، وآخرون، ٩٤.
(٢) المصدر نفسه ، ١٠٦.
(٣) موسوعة الفلسفة، بدوي، عبد الرحمن، ج الثاني، ١٥٧.
(٤) فلسفة التاريخ، صبحي، احمد محمود، ١٦٨.
(٥) المصدر نفسه ، ١٧٠.

شمولية، للتاريخ[١].

فتجعل فكرة نهاية التاريخ مرتبطة بفكرة الخلاص التي تحدث فقط عندما تتحد الأقاليم الثلاثة مشكلة المطلق[٢].

أمّا الفكر الإسلامي فالمنطلق الجوهري فيه للتاريخ هو الله فهو خالق التاريخ والحاضر فيه دائما وهو الذي يحدد نهاية التاريخ، وتُعدّ إرادته محور الزمن، ولقد أشارت بعض آيات القرآن الكريم إلى التاريخ بوصفه ماضيًا وحاضرًا ؛ لكي تحدد رؤيتها إلى المستقبل في تنبؤات تاريخية يحيطها علم الله[٣] ، ثم أنّ التحول من التاريخ المؤقت إلى التاريخ الأبدي المسؤول عنه هو الله (سبحانه وتعالى) إلّا أنّ القرآن الكريم لم يشر إلى الوقت المحدّد ، أو الساعة لهذا الفعل الإلهي بل أشار إلى أسماء وصفات وعلامات الاقتراب هذا الوقت قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٤] وقوله: ﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾[٥] ، ومن خلال الآيتين الكريمتين في القرآن الكريم يتبين أنّ محصلة الفعل البشري في التاريخ المؤقت يُقرر شأنها في نهاية الزمان[٦].

٣- مفهوم نظرية نهاية التاريخ فوكو ياما :

تتضح رؤية فوكو ياما حول مفهوم نهاية التاريخ فهو يرى أنّ الديمقراطية الليبرالية هي النقطة النهائية لتطور الايدلوجيا البشرية، وان التناقضات والعيوب الموجودة في أشكال الحكم القديمة التي تتميز بأخطاء لا يقبلها العقل غير موجودة في النظام الديمقراطي الليبرالي، ويفسّر ذلك فوكو ياما بقوله: (لا يعود ذلك لكون الديمقراطيات الثابتة اليوم كمثل فرنسا والولايات المتحدة وسويسرا، لم تعرف لا المظالم والمشاكل الاجتماعية الخطيرة،

(١) فلسفة العصور الوسطى، بدوي، عبد الرحمن، ٣٨.
(٢) الفكر الإسلامي والفلسفات المعارضة، محمود، عبد القادر، ٢٠٩.
(٣) دراسات في فلسفة التاريخ، الملاح، هاشم يحيى، وآخرون، ٩٦.
(٤) سورة غافر، الآية : ٥٩.
(٥) سورة الأحزاب، الآية : ٦٣.
(٦) دراسات في فلسفة التاريخ، الملاح، هاشم يحيى، وآخرون، ٩٧.

ولكن لأن هذه المشاكل كانت تنجم عن التطبيق غير الكامل مبدأي الحرية والمساواة اللذين هما الركيزتان لأية ديمقراطية حديثة، وليس من هذين المبدأين بالذات قد تفشل بعض البلدان الحديثة في إقامة الديمقراطية الليبرالية، وقد يقع بعضها في أشكال بدائية للحكم مثل البيروقراطية أو الدكتاتورية العسكرية، فالمثال الأعلى للديمقراطية الليبرالية لا يمكن تحسينه على صعيد المبادئ)[١].

إنّ تطور المجتمع في التاريخ وصل إلى شكله الأخير في نظر فوكو ياما بالديمقراطية الليبرالية ، وهي الطريقة الوحيدة القابلة للحياة والتي تعني : " مجموعة من المؤسسات ترتكز على الجانب الليبرالي، الذي يشير إلى سلطة محدودة للدولة، حيث يسمح للأفراد والمواطنين بممارسة قدر كبير من الحرية الشخصية، وقدرتهم على المشاركة في الحياة السياسية، وحرية التعبير وما إلى ذلك والجانب الديمقراطي يعني أنّ الجانب المشروع في اختيار الحكومة هي الديمقراطية والخيار الديمقراطي ، وهذا ما يوجد اليوم في أكبر دول العالم في الولايات المتحدة وفي دول أوربا الأساسية"[٢].

ويرى فوكو ياما أنّ العالم سينقسم إلى جزء ما بعد تاريخي يضم الدول الديمقراطية الليبرالية، وجزء آخر يظل دائمًا في التاريخ ودورته المفتوحة، ويشمل الدول غير الديمقراطية الليبرالية، إلّا إذا انتقلت هذه الأخيرة إلى جنة الديمقراطية الليبرالية، وعندها ترقى إلى الجزء لما بعد التاريخي، أمّا العلاقات بين العالمين، فسوف تتوافر لها محاور عديدة يتصادمان فيها، وستظل متسمة بالحذر والخوف المتبادلين بحيث تبقى الكلمة الفصل للقوة، وتظل الإمبريالية –بما هي هيمنة مجتمع على مجتمع آخر بالقوة– والحرب تمثلان ثابتين في الدول التاريخية، ووسيلتين تتحقق بهما غريزة شيء من التسلط والاستبداد، التي تشكل السبب الرئيس لنشوب الحروب والصدامات بين البشر وبين الدول[٣].

(١) نهاية التاريخ والإنسان الأخير، فوكو ياما، فرنسيس، ٢٣.

(٢) نقلا عن: حوار فرنسيس فوكو ياما مع قناة الجزيرة في برنامج من واشنطن، ٨/ ١/ ٢٠٠٤.

(٣) البعد الديني في دراسة العلاقات الدولية: دراسة في تطور الحقل، عبد الخبير محمود عطا، في: أماني صالح، وعبد الخبير عطا، العلاقات الدولية البعد الديني والحضاري، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، ١٠٣.

المطلب الأول: محتوى نظرية نهاية التاريخ لفوك وياما

لا تخرج هذه النظرية عن اطار ما سبق طرحة في نهاية التاريخ من حيث الفكرة والمضمون ، فقد قال موسى نجاد "يشارك فوكو ياما كلاً من: هيجل وماركس، في أن تطوّر المجتمعات البشرية له نهاية حتمية، وستصل المجتمعات يومًا إلى النهاية لكنْ رغم أفكاره تلك ، يقدّم الديموقراطية الليبرالية على أنها أقصى ما ستصل إليه الإنسانية على المستوى الأيديولوجي ، وحاول فوكو ياما التوفيق بين طريقين من التفكّر: الليبرالية الإنجليزية؛ وديالكتيك هيجل ورغم نظرته المتفائلة فقد كان متردّدًا حول المستقبل البعيد للديموقراطية الليبرالية توقف الحياة الاجتماعية من الآراء التي طرحها فوكو ياما، مدّعيًا احتمال أن نكون مستقبلًا "آخر إنسان"... فالإنسانية التي لا تفكر إلّا في راحتها ورفاهيتها، وتفتقد الرغبة نحو الأهداف المتعالية، إنسانية محرومة "[1].

وقد أوضح فوكو ياما محتواها بقوله : "إنّ الديمقراطية الليبرالية تشكل نقطة النهاية في التطور الأيديولوجي للإنسانية، والصورة النهائية لنظام الحكم البشري، وبالتالي هي تمثل نهاية التاريخ بعد أن لحقت الهزيمة بالأيديولوجيات المنافسة مثل الملكية الوراثية، والفاشية، والشيوعية"[2].

وقد كشف فوكو ياما عن الغرض الأساسي من وراء فكرة نهاية التاريخ ، وهو الاختلافات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين شعوب العالم شعوب ليبرالية وأخرى ما قبل الليبرالية ؛ ولذلك ينقسم العالم في نظر فوكو ياما " في المستقبل المرئي إلى شطر قد تخطي التاريخ ، وشطر لا يزال غارقا في التاريخ وفي العالم ما بعد التاريخ، وسيكون الاقتصاد هو المحور الرئيسي للتفاعل بين الدول ففي الوقت الذي تتضاءل فيه أهمية القواعد العتيقة لسياسة القوة، سيكون ثمت تناقض كبير في المجال الاقتصادي ولكنه محدود في المجال العسكري، وسيظل العالم ما بعد التاريخ (والمقصود هنا الدول الغربية

(١) نهاية العالم والإنسان الأخير، المعلومات السياسية والاقتصادية، موسى غني نجاد، العددان ٦٣ – ٦٤ (آذار ودِيْ ١٣٧١هـ.ش)؛ وكذلك العددان ٤٩–٥٠، ٥٥–٥٦.

(٢) نهاية التاريخ، فرنسيس فوكو ياما، ٨.

ذات التوجه الليبرالي) مقسما إلى دول قومية قد تصالحت مع الليبرالية وسيكون تعبيرها عن نفسها على نحو متزايد في مجال الحياة الخاصة وحدها، وفي هذه الأثناء ستكون العقلانية الاقتصادية سببا في تآكل مظاهر تقليدية عديدة للسياسة، بقدر ما ستؤدي إلى توحيد الأسواق والإنتاج"[١].

ولا تتعلق "نظرية نهاية التاريخ "عند فوكو ياما، في الديمقراطية الليبرالية كنظام للحكم وحسب، بل يؤكد أنّ الليبرالية الاقتصادية، هي النظام الاقتصادي الذي سيسود في نهاية التاريخ أيضًا، إذ أن المبادئ الليبرالية في الاقتصاد – أي السوق الحرة – قد انتشرت ونجحت في خلق مستويات من الرخاء المادي لم نعهدها من قبل سواء في الدول الصناعية المتقدمة ، أو في دول كانت وقت الحرب العالمية الثانية جزءًا من العالم الثالث الفقير، فالثورة الليبرالية في الفكر الاقتصادي كانت أحيانًا تسبق، وأحياناً تبلور الاتجاه صوب الحرية السياسية في مختلف بقاع الأرض.

ويري فوكو ياما أنّ الدولة التي ستسود في نهاية التاريخ هي الدولة الليبرالية ؛ وسبب ذلك–في اعتقاده–أن الدولة الليبرالية تتسم بأنها "دولة عقلانية" لأنها تحقق مصالحة بين (مختلف) المطالبات المتنافسة وذلك على الأساس الوحيد المقبول من الجميع[٢].

المطلب الثاني: بداية نظرية فوكو ياما

يمكن اعتبار انهيار الاتحاد السوفياتي وانتهاء الحرب الباردة، بداية عهد في النظام العالم الجديد[٣]، ومن أهم خصائص هذا النظام الجديد في الوهلة الأولى انتقال العالم إلى أحادية القطب في حقل السياسات الدولية ، وفي الحقيقة فإنّ نهاية الحرب الباردة وانهيار المعسكر الشيوعي دفع بأغلب المفكرين الغربيين إلى طرح مسألة انتصار الغرب والرأسمالية ، وما أطروحة "نهاية التاريخ" المعروفة ليوشيهيرو فرانسيس فوكو ياما، إلّا بيان لهذا المدعى.

(١) المصدرنفسه ، ٢٤٢.

(٢) نظرية نهاية التاريخ وموقعها في إطار توجهات السياسة الأمريكية في ظل النظام العالمي الجديد"، حمد سيف حيدر النقيد، ٤٢.

(٣) نظم هاي كهنه ونظم هاي نوين (الأنظمة القديمة والأنظمة الحديثة)، نعوم تشومسكي، ١٤.

في مقالته "نهاية التاريخ" (١٩٨٩م)، وبعد ذلك في كتابه "نهاية التاريخ والإنسان الأخير" (١٩٩٢م)، يذهب فوكو ياما إلى الادعاء والعمل على كتابة تاريخ عام بالنظر إلى المتغيرات والتحولات الراهنة في العالم، ليشمل بهذا التاريخ جميع البشرية، وفي هذه الرؤية يتم اعتبار النظام الليبرالي الديمقراطي نقطة انتهاء التطور الأيديولوجي للإنسان، والشكل الأخير للدولة في تاريخ البشر. تقول نظرية "نهاية التاريخ": إنّه وبسبب الافتقار إلى البدائل المعتبرة بعد إخفاق الشيوعية، سوف يكون النظام الليبرالي الديمقراطي هو الصيغة الأخيرة والشاملة لتاريخ البشر؛ بمعنى أنّ هذه الصيغة لن تكون هي الصيغة التي تعم جميع العالم بالضرورة فقط، بل لن تكون هناك صيغة أخرى غيرها في مستقبل البشرية أيضًا، وبذلك يتم اعتبار عالمية الليبرالية الديمقراطية هي المصير المحتوم للبشر، وقال في ذلك: "إنّ ما نشاهده ليس مجرد نهاية الحرب الباردة ، أو العبور من مرحلة تاريخية خاصة، بل إننا نشهد على نهاية التاريخ، حيث نرى منعطف في التكامل الأيديولوجي وشمولية الديمقراطية الليبرالية الغربية بوصفها آخر الدول البشرية"[١].

وقد قامت نظرية فوكو ياما على أنقاض ماركس وهيجل لهذه النظرية التي اندثرت، حيث كان لكل منهما نظرة مختلفة ، قال محمد وقيدي "رغم أن هيجل وماركس اختلفا مع ذلك في تصور الشكل الذي يكون بالنسبة اليهما نهاية التاريخ وتطور أشكال المجتمع فقال مارس بأن هذا الشكل هو المجتمع الشيوعي"[٢] ، أما هيجل يرى الحرية هي المحرك الأساسي "قال هيجل بأنَّ الحرية هي المحرك الأساسي للتاريخ الإنساني، وإنَّ هذا التاريخ اجتاز ثلاث مراحل للوصول إلى التحقق المطلق لفكرة الحرية، ومرحلة ابتدائية شهدت استبداد الطاغية بالحكم (عصر الإمبراطوريات الشرقية الصينية والفارسية والفرعونية)، ومرحلة وسطى أضحى فيها بعض الناس أحرارا (عصر الدولة اليونانية والرومانية) ، ومرحلة عليا غدت معها الحرية حقًّا عامًّا يتمتع به كل الفرد (عصر الدولة المسيحية الجرمانية) ، فالروح- كما يرى هيجل- شهدت اغترابا في المرحلتين الاوليتين لكنها ما لبثت

(١) نهاية التاريخ، فوكو ياما، ٥١.
(٢) البعد الديمقراطي، محمد وقيدي، ٦٢.

أن عادت في المرحلة الثالثة إلى ذاتها حيث حققت الفلسفة الهيجلية على وجه الخصوص التعبير الكامل عن (روح المطلق)"[١].

وقد احيى المفكر فوكو ياما هذه الفكرة التي دفنت مع صاحبها بعد محاولة الكسندر كوجيف إعادة قراءة وتأويل أعمال هيجل كما قال محمد وقيدي : "عمل بعد ذلك الفيلسوف الكسندر كوجيف على تعميق هذه الأطروحة، عبر إعادة قراءة ، وتأويل أعمال هيجل يقول كوجيف بهذا الصدد : (لقد اعتقدت لزمن طويل أنّ القول بنهاية التاريخ ترهة وأكذوبة، ولكنني لما قلبت الأمر من جميع وجوهه اتضح لي أنّ هذه الفكرة استشراف ذكي رائع) ، وفي الوقت الذي اعتقد دارسون أنّ حكاية نهاية التاريخ قد دفنت مع صاحبها قام المفكر الأمريكي- الياباني الأصل- فرنسيس فوكو ياما بإحياء الفكرة ، وتجديد القول في هذه المسألة في محاضرة له نشرتها مجلة NATIONALINTEREST سنة ١٩٩٨ حيث ربط فكرة نهاية التاريخ، بتحقق الديمقراطية الليبرالية"[٢].

٤- أسس نظرية فوكو ياما

لقد أقام فوكو ياما نظريته على أنّ الفكر السياسي في نظريته "نهاية التاريخ" يتمحور حول نقطة جوهرية ، وهي الليبرالية الديمقراطية التي انتهي اليها التاريخ والعالم ، وأنّ أمريكا قد تربعت على عرش التاريخ البشري ولا توجد أيديولوجية ما يمكن أن تتحدى الديمقراطية ، وأكد فوكو ياما بأنّ التاريخ في شتى مجالاته قد وصل إلى مثله الأعلى.

المطلب الأول: يجب النظر إلى التاريخ كعملية تطورية

الأساس الأول الذي يراه فوكو ياما لنظريته هو أنّ التاريخ يتطور ويؤكد فوكو ياما في كتابه "نهاية التاريخ" على محور جوهري إذ قال :"فليس التاريخ سلسلة عمياء من الأحداث، وإنما هو كل ذو مغزى نمت فيه أفكار بشرية حول طبيعة النظام السياسي والاجتماعي ومضى بها إلى غايتها، وإن كنا اليوم قد بلغنا مرحلة لا نستطيع معها تخيل عالم

(١) مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، محمد الشيخ وياسر الطائر، ٦٠.
(٢) مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة ، ٦١.

شديد الاختلاف عن عالمنا"[1].

يطرح فوكو ياما سؤال جوهري يتعلق بغائية التاريخ ، وتطوره فجاء السؤال على الشكل التالي: هل تتطور المجتمعات أو معظمها في اتجاه واحد، أو معين ، أم أنّ التاريخ ينهج منهجًا دوريا ، أو عفويا معين؟ وهنا فوكو ياما في نظريته التي وضعها وحددها في نهاية التاريخ يبدأ بإثارة مسألة ما إذا كان التاريخ هو الاتجاه أم لا؟ وماذا إذا كان لتاريخ محركات تصنع اتجاه التاريخ ولهذا نجد فوكو ياما يحاول فهم الآلية التي تحدد مسار التاريخ، والمفاتيح والمسلمات لفهم التاريخ وقبل أن نفصل في ماذا يتناوله فوكو ياما نذهب إلى تحديد مفهوم الغائية.

الغائية: صفة كلّ ما يتجه عن قصد إلى هدف معين ، ومنها الملائمة بين الوسائل والغايات، وخضوع الأجزاء للكل وهناك غائية خارجية يكون الهدف فيها خارجا عن الكائن نفسه ، وغائية داخلية يكون الهدف فيها ذات الكائن"[2] هنا الغائية تعني الوصول إلى هدف معين يكون محددا ومسطرا من قبل الإنسان عن طريق الوسائل للوصول إلى الغائية.

"كما يعرف عن المذهب الغائي مقابل المذهب الآلي (الآلية) ، ويطلق على كلّ نظرية تعلل ظواهر الوجود بالأسباب الغائية"[3] فإنّ مآل التاريخ ، أو غائية التاريخ عند فوكو ياما استنادا للتعريفين السابقين وربطهما بغاية فوكو ياما ، فإنّ غاية التاريخ عنده هو التطور والتقدم التاريخي نحو الديمقراطية الليبرالية وهي في اعتبار فوكو ياما في نظرية نهاية التاريخ آخر ما يصل إلى الإنسان وآخر غاية للتاريخ.

وقال جواد النعماني في هذا المعنى : "إن التاريخ غائي بمساره العام، بمعنى أنّ المجتمعات الإنسانية تتطور باتجاه واحد، وليس بوسع أي شكل من أشكال التنظيم الاجتماعي أنْ يتكرر في مجتمع ما بعد تجاوزه، وإلّا لزمنا القول بعفوية أو دورية التاريخ،

(١) نهاية التاريخ والإنسان الأخير، فرانسيس فوكو ياما، ٥٨.
(٢) المعجم الفلسفي، إبراهيم مدكور، ١٣١.
(٣) المعجم الفلسفي، جميل صليبا، الجزء الثاني، ١٢٤.

وأن يمكن فيه تكرار ما مضى من ممارسات اجتماعية ، أو سياسية كعودة أباطرة روما ، أو نظام الرق والمجالدة ونحوها.

أمّا الآلية التي تضفي على التاريخ غائيته، فَيَلتمِسُها واضع الأطروحة من مقالة اثنين من فلاسفة التنوير: برنار فونتنيل وفرانسيس بيكون من إنّ المعرفة العلمية مفتاحا لغائية التاريخ، لاسيّما العلوم الطبيعية الحديثة مما ليس للموهبة أو الاحتراف دور فيه، وانتخاب العلوم الطبيعية لعدم مخالفة أحد في تراكميتها وعدم عفويتها، ضرورة عدم عودة البشرية – بالظرف الطبيعي – إلى حالة الجهالة بعد خروجها منها"[1].

يُجادل فوكو ياما بانتظامِ التاريخ بمعنى عدم اتخاذه مسارًا دوريًا ، أو عشوائيًا ، فالتاريخ الموجه يعني عدم عودة أشكال التنظيم المجتمعي المنحلة، ويتطلب المسار الموجه للتاريخ عدة آلياتٍ ثابتة ، أو سابقاتٍ تاريخية تملي التطورَ ناحيّةَ اتجاه محدد، مع الاحتفاظ بذاكرةٍ عن العصورِ السابقة ، يحدد فوكو ياما العلم الطبيعي الحديث كآلية محتملة خلف التغيرات التاريخية الموجهة ؛ لأنّه النشاط الاجتماعي الوحيد المجمع على تراكميته، بمعنى أنّ العلم الطبيعي الحديث ليس عشوائيًاو ولا دوريًا، فالبشر لا يعودون إلى حالة الجهل السابقة بشكل دوري ، ونتائج العلوم الطبيعية ليست خاضعة للأمزجة والأهواء، وتأسيس أو اكتشاف المنهج العلمي لم يكن حادثاً عشوائيًا وقسم الفترات التاريخية للبشرية إلى قبل وبعد، هناك طريقتان لتأثير العلم الطبيعي الحديث على اتجاه التاريخ: التنافس العسكري والنمو الاقتصادي[2].

المطلب الثاني: استمرارية الأحداث في نهاية التاريخ

أمّا الأساس الثاني هو لا يمكن لأحداث التاريخ أنّ تصبح ذات معنى إلّا إذا تعلقت بهدف أكبر، وتحقيق ذلك يتطلب وصول صيرورة التاريخ إلى نهاية، هذه النهاية هي ما يجعل من أحداث معينة مفهومة للإنسان ، فالمحاولات الأولى لكتابة علمانية شاملة لتاريخ

(١) مقال أطروحة نهاية التاريخ والأنسان الأخير، جواد صالح مهدي النعماني، أسلوب آخر في القراءة: http://kerbalacss.uokerbala.edu.iq/wp/blog/23/02/2021.

(٢) نهاية التاريخ والإنسان الأخير، فرانسيس فوكو ياما، ٧٢.

البشرية بدأت بتأسيس المنهج العلمي في القرن السادس عشر مع غاليليو غاليلي ، ورينيه ديكارت ، وفرانسيس بيكون، فقد افترض هؤلاء وغيرهم إمكانية المعرفة وبالتالي السيطرة على الطبيعة الخاضعة لمجموعة واضحة ومفهومة من القوانين ، أو القواعد الشاملة، وهذه المعرفة لا يمكن انتقالها من شخص لآخر فحسب، بل هي متراكمة عبر أجيال متعاقبة بحيث لا تضيع الجهود بتكرار أخطاء الأجيال السابقة[١]، إذن فكرة التقدم متأصلة في نجاح العلم الطبيعي الحديث باعتباره اكتساباً غير محدودٍ من المعرفة.

تتحقق هذه النهاية بادراك الإنسان لحريته في مجتمع ترتبط فيه الحرية تحت القوانين الخارجية، بأعلى درجات السلطة. بمعنى أنّ إنشاء دستور مدني عادل هو أحد أصعب التحديات التي تفرضها الطبيعة على جميع الجنس البشري، يقول فرانسيس : أن محاولة تحقيق هذه الغاية هي الوسيلة التي يمكن عبرها فهم عملية التقدم في التاريخ ، ويطرح التساؤل ما إذا كان التاريخ الشامل للبشرية مع أخذ جميعِ المُجتمعَاتِ والأوقاتِ بعينِ الاعتبار، يشير إلى تقدمٍ إنساني باتجاه الحكم الجمهوري، أو ما يُفهم في العصر الحديث بالديمقراطية الليبرالية[٢].

إنّ التاريخ لن ينتهي إلاّ بانتهاء التقدم العلمي الذي هو في مرحلة نمو هائلة، قائلًا : إن "التقدم في علم الحياة والتقنيات المتعلقة بها سيؤدي إلى نقل الإنسان إلى مرحلة ما بعد الإنسانية"[٣].

"لهذا نجد أنّ علم الاقتصاد يبحث في التوازن العامل بين الإنتاج وبين الاستهلاك، فهو من جهة يصف تطور وتقدم الإنتاج وبالتالي يصف وسائل الإنتاج المادية والتنظيمية، بما فيها تطبيق العلم الحديث على الطبيعة"[٤].

(١) نهاية التاريخ والإنسان الأخير، ٥٧.
(٢) نهاية التاريخ والإنسان الأخير، فرانسيس فوكو ياما، ٥٩.
(٣) نهاية الإنسان أو مستقبلنا ما بعد الإنساني (نتائج الثورة البيوتكنولوجية)، فرانسيس فوكو ياما، المجلد العاشر، ١٤٩.
(٤) مفهوم الحرية، عبد الله العروي، ٩٤.

وكذلك يبيّن أنّ فكرته حول نهاية التاريخ التي أوردها في كتابه السابق بهذا المسمى، والتي مؤداها أنّ التاريخ قد انتهى بالنموذج الغربي في الحياة الليبرالية الديموقراطية، كانت غير صائبة، ويرى أنّ "التاريخ لن ينتهي إلا بنهاية التقدم العلمي والذي يبدو أنّه قد وضعنا على الطرف المذنب لواحدة من أخطر مراحل التقدم العلمي في التاريخ ، والسبب في ذلك يعود إلى تأثير التقدم العلمي خاصة في التكنولوجيا الحيوية على الطبيعة البشرية التي بدورها تحدد النسيج المجتمعي لبني الإنسان"[1].

٥- أسس نهاية التاريخ في القرآن

بين القرآن الأسس التي ينتهي عليها التاريخ ؛ لأنَّ الوجود كلّه لله فلابد أن تكون النهاية بيده سبحانه وتعالى، وليس للإنسان أن ينهي التاريخ فتكون الأسس على ما يأتي:

المطلب الأول: أسس نهاية التاريخ

الأساس الأول: الأنسان خليفة الله في الأرض

وضّح الباري عز وجل الغاية من خلق الأنسان بجعله خليفة له ، ووفر له كل سبل العيش ، وفضله على جميع المخلوقات بل سخرها كلها له ، وكلّ ذلك حتى يكون الإنسان ممثلا عن الله في تطبيق ما يبين عظمة ومكانة الباري سبحانه وتعالى ، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2] ، وكون الإنسان خليفة بالجعل إذن ليس الإنسان مخير بالاستخلاف " وكلمة- الجعل- في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ تفيد أنّ هذا الكائن ليس مخيّرا في أن يكون خليفة أو لا يكون، بل هو خليفة بمقتضى الجعل الإلهي، أي أنّه خليفة بمقتضى الخلق والجبلّة والفطرة "[3].

يقول السيِّد الشهيد محمّد باقر الصدر في كتابه (المدرسة القرآنية):

ما هي مقوّمات المركَّب الاجتماعي؟ وكيف يتمُّ التركيب بين هذه العناصر والمقوّمات؟

(١) نهاية الإنسان أو مستقبلنا ما بعد الإنساني" (نتائج الثورة البيوتكنولوجية)، فرانسيس فوكو ياما، المجلد العاشر، ١٤٩.

(٢) سورة البقرة، الآية : ٣٠.

(٣) استخلاف الإنسان في الأرض، فاروق أحمد دسوقي، ٥.

وضمن أيّ إطار؟ وأيّة سنن؟ هذه الأسئلة نحصل على جوابها في النصِّ القرآني الذي تحدَّث عن خلق الإنسان الأوَّل: ﴿وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرضِ خَلِيفَةً قالُوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ﴾.

هناك ثلاثة عناصر يمكن استخلاصها من العبارات القرآنية:

أوَّلًا: الإنسان، ثانيًا: الطبيعة، ثالثًا: العلاقة المعنوية التي تربط الإنسان بالأرض (الطبيعة) وبالإنسان، وهي تُسمّى قرآنيًا بالاستخلاف، وهي العنصر المرن والمتحرِّك في المعادلة الاجتماعية.

لهذه العلاقة صيغتان:

رباعية: وهي افتراض طرف رابع في المركَّب، وهذا الطرف ليس داخلًا في إطار المجتمع، ولكنَّه مقوِّم لها وهو الله تعالى، وهذا هو الطرح القرآني المسمّى بالاستخلاف، فالله (عزَّ وجلَّ) هو المستخلِف (بكسر الخاء)، والإنسانية المستخلَفة (بفتح الخاء)، والمستخلَف عليه هو الأرض (الطبيعة) وما عليها، فالاستخلاف بمعنى أنَّ الطبيعة أمانة بيد الإنسانية وهو محاسب عليها، ولذلك قبلها الإنسان وهي في فطرته: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَى السَّماواتِ وَالْأَرضِ وَالْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَأَشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾)[1].

إنَّ إضافة بعد رابع وهو الله (عزَّ وجلَّ) ليس إضافة عددية، بل هو نوعية تُغيِّر من الحركة الجوهرية للإنسانية، وبالتالي تُغيِّر مجرى التاريخ.

وهناك الصيغة الثلاثية: وهي تجريد المركَّب النظري من البعد الرابع وهو الله (عزَّ وجلَّ)، ووجدت هذه العلاقة عبر التاريخ عبر سيادة الإنسان على أخيه الإنسان وكذلك الملكية، هذه الصيغة الثلاثية تعني لا يوجد قيِّم على العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان وبين الإنسان والطبيعة إلَّا ضمير الإنسان نفسه، وقد جرَّبت الإنسانية في مسيرتها كيف

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

كان ضمير الإنسان، وما جرَّ هذا الضمير من الويلات والحروب على البشرية، وكيف استغلَّ ثروات الطبيعة وكأنَّها ملك خاصّ له.[١]

فهناك علاقة بين الخليفة وبين من جعله وهو وجوب الطاعة ، وعلاقة بين الخليفة وبين ما استخلف عليه وهو وجوب العدل والأمانة ؛ وذلك من أجل ضبط منهج الإنسان وسلوكه في هذه الحياة، سواء تعلّق الأمر بعلاقته مع أخيه الإنسان، أو مع غيره من المخلوقات والكائنات في الأرض ، وقد قالوا في حقيقة الخلافة أنها:" عبادة طوعية لله تعالى بالتزام هديه وشرائعه ينشأ عنها ضبط للسلوك الإنساني في علاقته مع الله ، وعلاقته بالكون والمخلوقات بحيث تسير الحياة الإنسانية ضمن إطار الصلاح"[٢].

وعرّفها فاروق الدسوقي بقوله: "هي علاقة بين الإنسان المستخلف وبين الله تعالى الذي استخلفه من جهة، وعلاقة بين الإنسان الخليفة وبين ما استخلفه الله عليه في الأرض"[٣].

والخلافة هي "قيام شيء مقام آخر، لا تتم إلّا بكون الخليفة حاكيًا للمستخلِف في جميع شؤونه الوجودية، وآثاره وأحكامه وتدابيره بما هو مستخلَف"[٤] ، وبحسب تعريف الشهيد الصدر "حركة دائبة نحو قيم الخير والعدل والقوّة، وهي حركة لا توقف فيها؛ لأنها متجهة نحو المطلق"[٥].

ويقول محمد قطب:" فالخلافة في الأرض تتضمن معنى التمكين والسيطرة عليها والهيمنة على ما فيها، كما تتضمن أيضا عمارتها...، فالإنسان قد خلق إذن ليكون سيد هذه الأرض والحاكم فيها بإذن الله ومشيئته...، والإنسان قد خُلق في الوقت ذاته ليعبد الله ؛ ومقتضى ذلك أن تكون الخلافة في الأرض"[٦].

(١) المدرسة القرآنية للسيِّد محمّد باقر الصدر: ١٠٥ –١٠٧.
(٢) الخلافة في الأرض، حسن فرحات، ٢١.
(٣) استخلاف الإنسان في الأرض، فاروق أحمد دسوقي، ٢٦.
(٤) خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء، محمد باقر الصدر، ٥١.
(٥) المصدر نفسه ، ٦٤.
(٦) حول التفسير الإسلامي للتاريخ، محمد قطب، ٥٨–٥٩، بتصرف.

فسنة الاستخلاف حسب كلام محمد قطب، تأخذ طابع التمكين والسيطرة، مما يمكن الإنسان من عمارة الأرض، وذلك كلّه لا يخرج عن إرادة الله ومشيئته.

وإنَّ ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بداية لسقوط حضاري، ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾[1] ؛ لأنّه حينئذٍ سيستشري الفساد في الأرض، ثم سرعان ما يزول الاستخلاف، قال سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[2] لقد هلكت أمم وزالت دول بسبب انغماسهم في الترف والشهوات[3] ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾[4].

ويقول الراغب الأصفهاني في كتابه: الذريعة إلى مكارم الشريعة:" والفعل المختص بالإنسان ثلاثة أشياء:

١- الأرض المذكورة في قوله تعالى:﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[5] وذلك تحصيل ما به تزجيته المعاش لنفسه ولغيره.

٢- وعبادته المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[6] وذلك هو الامتثال للباري عز وجل في أوامره ونواهيه.

٣- وخلافته المذكورة في قوله جل شأنه: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[7] وغيرها من الآيات، وذلك هو الاقتداء بالباري سبحانه على قدر طاقة البشر

(١) سورة المائدة، الآية : ٧٨-٧٩.
(٢) سورة الأنفال، الآية : ٥٣.
(٣) راجع (حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية) محمد قطب ، ٩٢-١٠٢.
(٤) سورة الإسراء، الآية : ١٦.
(٥) سورة هود، الآية : ٦٠.
(٦) سورة الذاريات، الآية : ٥٦.
(٧) سورة الأعراف، الآية : ١٢٨.

باستعمال مكارم الشريعة[1].

وإنّ الغاية من الاستخلاف العام للبشر تقوم على أساس العبودية لله تعالى ، وتحكيم شرعه ومنهاجه، وعمارة الأرض وفق منهجه سبحانه وتعالى، والاستفادة من قصص السابقين ، وأخذ العبرة منها لتجنب العقوبات الإلهية...

وهكذا يكون بقاء الاستمرار العمراني الذي ينتقل بين الأمم والأجيال السابقة واللاحقة، ويحقق الرقي الحضاري والازدهار العمراني، دون أن يخرج ذلك عن سنن الله في كونه وخلقه.

وهناك الاستخلاف الخاص للأرض من قبل الله سبحانه وتعالى كما جعل لداوود عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾[2] هذا يدل على أنّ الله هو يجعل نهاية التاريخ بنظامه الخاص وليس بنظام يجعله الإنسان.

وهذا الذي أثاره الدكتور أوغلوا في حقيقته يأخذ بالحسبان بيان القيمة العليا التي تستبطنها الرؤية الإسلامية للعالم، فتوحيدية الإسلام في هذه الرؤية تنعكس في نطاقه الفكري والقيمي والذاتي على رؤيته في النظر إلى الإنسان في العالم كله، وليس هذا فحسب بل ينصرف كذلك صراحة إلى رؤية الإنسان فيما وراء عالم الشهادة، أعني به امتداد هذا العالم ومساره في الآخرة، فينعكس هذا بالضرورة على الفعل الإنساني عن طريق التنبيه على وظيفيته في هذه الحياة وهي الاستخلاف الذي يلغي ازدواجية العالمين بوحدة الدنيا والآخرة، وعلى هذا الأساس تأخذ هذه الرؤية الكونية التوحيدية أبعادًا ثلاثة في كيفية النظر إلى العالم، وهي: عالمية الوحي والرسالة والدعوة، ثم نفي الإكراه، وأخيرًا إقرار تعددية الأديان[3].

(١) الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، ٩٠.
(٢) سورة ص، الآية : ٢٦.
(٣) العولمة والإسلام رؤيتان للعالم، سيف الدين عبد الفتاح، ١٥٦ فما بعدها.

وخلاصة هذا الأساس هو لا يمكن للإنسان أن يصنع نظاما ينهي به التاريخ ؛ لأنّه خليفة لله في الأرض ويجب أن يعمل بنظام من استخلفه حتى وأن كان لا يعتقد بذلك ، والحقيقة أنّه قاصر أن يصنع نظام متكامل فعليه عندما يأمر الله سوف يعمل الخليفة وفق أرادته وعندها تكون نهاية التاريخ.

الأساس الثاني: ظهور الدين كله على كل الأديان والمعتقدات

بعد أن أشرك بالله سبحانه وتعالى وقامت إمبراطوريات ودول على هذا الشرك ، وترك الإنسان منهج الله وشريعته وأخذ يشرع لنفسه قوانين ودساتير بديله لحكم الأرض، وأخذ يحدد نهاية للتاريخ باعتقاده أنّه صنع نظام عالمي حتى أصبح الدين بالنسبة له مجرد طقس يؤديه متى يشاء فهنا بيّن القرآن أنّ هذا الدين سيكون هو الحاكم على الأرض في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً ﴾[2] ، تشير الآية إلى وجوب حكم الدين الإسلامي الأرض، وتسقط كل الديانات حتى تكون الأرض كلها لدين الله ، وقد جاء في تفسير التحرير والتنوير في بيان الآية : (وقد دخل أهلُ المِلَلِ في سائر الأقطار دينَ الإسلام بالرغم على كراهية أقوامِهم وعظماءِ مِلَلِهم ذلك، ومقاومَتِهم إيَّاه بكلِّ حِيلة، ومع ذلك فقد ظَهَرَ وعلا، وبانَ فضلُه على الأديان التي جاوَرَها، وسَلِمَ من الخرافات والأوهام التي تعلَّقوا بها، وما صلحت بعضُ أمورهم إلاَّ فيما قلَّدوه من أحوال المسلمين وأسباب نهوضهم).[3]

وقال النووي: (فيه إشارةٌ إلى أنَّ مُلْكَ هذه الأمة يكون مُعْظَمُ امتدادِه في جهتي المشرق والمغرب، وهكذا وقع، وأمَّا في جهتي الجنوب والشمال فقليلٌ بالنسبة إلى المشرق والمغرب، وصلواتُ اللهِ وسلامُه على رسولِه الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، إنْ هو إلاَّ وحي

(١) سورة التوبة، الآية : ٣٣.
(٢) سور الفتح، الآية : ٢٨.
(٣) التحرير والتنوير، ابن عاشور ، ١٠/ ١٧٤.

يوحى).[1] وقيل: (أنَّ الأرض زُوِيَت لي جملتُها مرةً واحدة، فرأيتُ مشارقَها ومغاربها، ثم هي تُفتح لأمتي جزءًا فجزءًا حتى يصل مُلْكُ أُمَّتي إلى كلِّ أجزائها)[2].

وقال الرازي في تفسيره (وتُقام الدولة الإسلامية العالمية ؛ لأنّ المقصود من الإظهار هو الغلبة والاستيلاء ، وليس مجرد قوّة الحجة لأنّ غلبة الحجّة أمر حاصل ابتداء ولا يبشر الله عزّ وجل إلاّ بأمر مستقبل غير حاصل، كما استدل على ذلك الفخر الرازي في تفسيره)[3]

وأشار السيد الطبطبائي إلى معنى الآية : (والمعنى أنّ الله هو الذي أرسل رسوله وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم مع الهداية –أو الآيات والبينات – ودين فطري ليظهر وينصر دينه الذي هو دين الحق على كل الأديان، ولو كره المشركون ذلك. وبذلك ظهر أن الضمير في قوله: (ليظهره) راجع إلى دين الحق كما هو المتبادر من السياق)[4]

إذن الآية الشريفة تتحدث عن غلبة الإسلام على جميع الأديان دون أي قيد وشرط، والغلبة المطلقة دون أي قيد أو شرط إنّما تتحقق بشكل كامل عندما تلقي ظلالها على جميع أرجاء المعمورة، كما ورد في رواية رسول الإسلام صلى الله عليه وآله إذ قال: "لا يبقى على ظهر الأرض بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ ألا أدخَلَهُ اللهُ كلمة الإسلامِ"[5]

وهذا كلام رسول الله صلى الله عليه واله لا يكون إلا بقيام دولة العدل الالهي عندها سوف ينتهي التاريخ.

الأساس الثالث: الوعد الالهي للمؤمنين والمستضعفين

لقد وعد الله المؤمنين والمستضعفين بأن يورثهم الأرض ويمكنهم فيها ، وأنّه لا يخلف الميعاد بمعنى ينتهي التاريخ بهم ليريهم عدله ، ويجزيهم ما صبروا حيث بقول الباري جل جلاله ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ، ١٨/ ١٣.
(٢) مرقاة المفاتيح، ١٠/ ٤٢٩).
(٣) التفسير الكبير، الفخر الرازي، ١٦/ ٤٠.
(٤) تفسير الميزان، الطبطبائي، ٩ / ٢٤٧.
(٥) مجمع البيان، الطبرسي ،٥ / ٤٥.

اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1]، فالتوحيد والإيمان والعمل الصّالح مناط الاستخلاف الخاص، فهو من خصوصيات المؤمنين، وهو وعد من وعود الله التي لا تتخلّف للذين آمنوا وعملوا الصّالحات في كلّ عصر ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[2]، "ومناطه التوحيد والإيمان والعمل الصّالح؛ ويدخل في هذا كل ما أمر الله عزّ وجلّ به من توفير أسباب القوة، وإعداد العدّة بالوسائل المتاحة لحمل الأمانة الكبرى في الأرض بإعمارها وإصلاحها، وتحقيق الحقّ والعدل والأمان والطمأنينة لساكنيها من الأمم ، والمجتمعات المختلفة الألوان والأعراق والأجناس، وتحقيق السمو الرّوحي والرقيّ الأخلاقي والمادّي الذي يجعل الإنسان أهلا لهذا التكريم"[3] ، "وقد جرت سنّة الله أن يكون هذا الاستخلاف للمؤمنين الصّالحين المصلحين العاملين، يتوارثونه أمة بعد أمّة، وجيلا بعد جيل، بواسطة هذه الأصول الثلاثة: التوحيد، والإيمان، العمل الصالح، ليتحقق في الأرض ما شاء الله عز وجل من عدل وحق وإزهاق للباطل، لتسير البشرية خطوات رشيدة نحو الكمال والسعادة، والهناء والحرية، والمساواة في الحقوق والواجبات، وتحقيق القيم الرفيعة التي دعا إليها الأنبياء ، وأتباعهم من العلماء والدعاة الصّالحين والمجاهدين المخلصين"[4].

"والاستخلاف الخاص هو مقدّمة لحصول التمكين للمؤمنين في الأرض؛ حيث قرن الأمران في الآية الكريمة، وجاء التمكين كنتيجة مطردة، وقضية حتمية بعد الاستخلاف الخاصّ، ولتلازم الأمرين، فقد تحدث الله عز وجل عن الاستخلاف ثم عن التمكين وعطف بينهما في قوله سبحانه: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ

(١) سورة النور، الآية : ٥٥.
(٢) سورة الأنبياء، الآية : ١٠٥.
(٣) سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، محمد هيشور، ٢٩٢.
(٤) سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها، محمد هيشور، ٢٩٣-٢٩٤.

وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْد خَوْفهمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْد ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1].

وتمكين الدين يتم في القلوب أولا، ثم في تصريف شؤون الحياة وأمور الخلق وتدبيرها وفقا لأحكام الإسلام، بجعله هو المهيمن على شؤون الحياة وأمور الناس بالإصلاح والعدل، وحفظ الحقوق لأصحابها، والحرص على هداية البشر، وإعمار الأرض، والانتفاع بكل ما أودعه الله عز وجلّ فيها من ثروة، مع التوجّه بكل نشاط فيها إلى الله تعالى"[2].

الأساس الرابع: حكم الشريعة وقائد معصوم

يرى بعض أنَّ نهاية التاريخ ستكون بهيمنة قوى بشرية تنتهج النهج النفعي والمصلحي، وتكون الأرض حينئذ تحت رعاية بشرية متكبرة ومتجبرة ، وهذا ما قاله بعض مفكري الغرب كـ(فوكو ياما)، بأن هذا هو زمن نهاية التاريخ (أي القرن الواحد والعشرين) وهو بهذه الصورة من الهيمنة الغربية على مقدرات العالم ، فإن الإنسان التاريخي حسب ما يدّعيه هو ذلك الغربي الذي يزقّ في صغره مفاهيم الهيمنة ويتربى على الثقافة النفعية المادية، أمّا الذي يرأس هذا العالم بمن حواه فهو الشخص الذي يتربع على عرش السلطة الأمريكية، وحيث أن القطب الآخر (الاتحاد السوفياتي) قد انهار، فلا منافس ولا ندّ ولا مستحق ولو مستقبلًا لهذه الإدارة العالمية.

وما قاله (هنتيجتون) بأن نهاية التاريخ لابد أن تكون بيد الغرب ؛ لتقدّمه وتميّزه وإن كان ذلك بعد حين... ولا يخفى ما لهذه النهاية التي يبشّر لها من ظلم وعدوان على الإنسان، وتحطيم لأبسط قواعد العدالة الإنسانية... والمشهد السياسي المعاصر أبلغ شاهد على ذلك.

ونحن لا نختلف معهم على حتمية أن يكون للتاريخ نهاية، بل على العكس، إنّ نهاية التاريخ هي من النبوءات التي ذكرها القرآن الكريم، وأكّدها الرسول وأهل بيته بأحاديث متواترة. يقول تعالى:﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً

(١) سورة النور، الآية : ٥٥.
(٢) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ٩ / ٦٩.

وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [1] وقال عز وجل ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾. [2]

إلا أن الاختلاف الجذري بيننا وبينهم هو في ماهية النهاية، وزمانها، فأما الزمان فعلمه عند الله عز وجل، يظهره متى رأى الظروف مواتية، ففي الحديث عن الرسول ﷺ: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلًا من أمتي ومن أهل بيتي يواطئ أسمه اسمي يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا) [3].

وأمّا ماهية النهاية وصفتها، فلا تكون إلا برعاية إلهية محاطة بألطاف الله عز وجل، كما هي دلائل الآيات أن الله هو الذي سيختار من يبوئه ويمكّنه من الأرض في قوله عز وجل: (ونجعلهم أئمة)، (ونجعلهم الوارثين)، مما يدلّ أنّ الهيمنة والتمكين على مقدرات الأرض إنما ستكون بجعل إلهي، لا بتقديرات بشرية زائفة.

وهذه الرعاية الإلهية هي بظهور الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه.

فحسب المتواتر من الأحاديث عند المسلمين أنه لو لم يبق من الدنيا إلّا يومًا واحدًا لطوّل الله ذلك اليوم، ليخرج فيه الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه، ليملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعد أن ملئت ظلمًا وجورًا.

فتحقق الرعاية الإلهية لنهاية التاريخ إنما هي من الرعاية الإلهية للإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف حيث أحاطت الرعاية الإلهية بالإمام قبل أن يولد وقبل عالم الأرحام وفي ولادته وطفولته وصباه، وفي غيبتيه الصغرى والكبرى وهو مستودع عند الله عزّ وجل ليتربى في كنفه، هكذا تحدّثنا مقاطع التاريخ المهدوي.

يرى القرآن في نهاية التاريخ لا بد من وجود نظام يحكم العالم ، ويكون دولة عالمية يطبق فيها كل المثل الدينية والأخلاقية والتي تكون تجسيدًا لارادة الله وبعلمه لهداية البشر قال تعالى:﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

(١) سورة القصص، الآية : ٥.
(٢) سورة الصف، الآية : ٦١.
(٣) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٥١ / ١٠٢ .

الْـمُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة: ٣٣)، لأنّ فيها عنصرين رئيسيين يقوم على أساسهما نهاية التاريخ هما:

العنصر الأول: الشريعة والمنهاج

هو مجموعة من الأحكام والقوانين تنظم حياة الإنسان دينيًا وسياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا ، وهي صالحة لكل مكان وزمان وانسان أفاض بها الله سبحانه لخليفته الإنسان؛ لكي يعمر الأرض ويصلح الحرث والنسل وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1].

الذي يتعمق في دراسة الإسلام سوف ينبهر بما يحوي هذا الدين الإلهي من قوانين لبناء الإنسان الصالح ، والمجتمع الصالح كيف لا وقد انزله رب السمات والأرض، وطبقه الرسول الكريم محمد صلى الله عليه واله ، فذاقت الناس حلاوة العدالة والرحمة فيه فليس غريبًا أنّ يعترف علماء الغرب أنّ الإسلام هو النظام الذي سوف يحكم العالم بعد أن عرفوه وعقلوه كما قال الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2] ، فقد قال المفكر العالمي برناردشو وقد ابهره في الإسلام مواءمته وتوفيقه بين المصالح المادية ،والحاجات الروحية يردد بعد دراسة دقيقة قوله المشهور" وإنني أتنبأ بأنّ دين محمد سيلقى القبول في أوربة غدًا، كما يلقاه فيها الآن"[3].

وقال المفكر الألماني المشهور جوته صارخًا " إذا كان هذا هو الإسلام أفلا نكون كلنا

(١) سورة المائدة، الآية : ٤٨.
(٢) سورة الروم، الآية : ٣٠.
(٣) محمد رسول الله هكذا بشرت به الأناجيل، بشرى زخاري ميخائيل، ٥٥.

مسلمون"[١].

وقال المستشرق السويسري جورج ريفوار والذي أسلم تحت اسم حيدر بأمات في كتابه وجوه الإسلام " أصبح الإسلام أحد العناصر الأساسية للعبة التي سيعتمد عليها مصير العالم في المستقبل"[٢].

وهذا أستاذ الاقتصاد الفرنسي جاك اوستري وقد وقف متحيرا أمام الاقتصاد الإسلامي الذي استطاع التوفيق بين المصالح العامة والمصالح الخاصة ، وقد قال في كتابة الإسلام في مواجهة التقدم الاقتصادي :" إلى أنّ طرق الإنماء الاقتصادي ليست محصورة بين الاقتصادين المعروفين الرأسمالي والاشتراكي ، بل هناك اقتصاد ثالث راجح هو الاقتصاد الإسلامي الذي يرى هذا المستشرق انه سيسود المستقبل ؛ لأنّه على حد تعبيره أسلوب كامل للحياة يحقق كافة المزايا ويتجنب كافة المساوئ "[٣].

وهناك كثير من المستشرقين يؤكدون على ضرورة العودة إلى تعاليم الإسلام ، ودراسة قواه الكامنة خاصة السياسة والاقتصاد منهم الأستاذ لويس جارديه والمستشار رايموند شارل وغيرهم.

وقد أثار فون جرونباوم سؤالًا مهمًا في مقال كتبه حول سر صمود المقومات الأساسية في الحضارة الإسلامية ، وقدرتها على الاستمرار، قال: "إن الأمم تتألف وتتفكك، والحضارات تزدهر وتندثر، لكن الإسلام بقي صامدًا وقادرًا على احتواء أهل الحضر، وأهل المدر، ومستوعبًا بناة الحضارات داخله ، وأولئك الذين يدمرونها؛ فما هذه إذن العوامل التي جمعتهم كأمة واحدة، وما الذي جعلهم يتجهون بوعي ، أو بدون وعي صوب المحافظة على خصوصيات شخصيتهم المتفردة، في الوقت الذي راحوا يوطدون فيه علاقاتهم مع دين إسلامي عالمي ، ويعتبرونه أثمن ممتلكاتهم الروحية، إنّ انهيار الإمبراطورية السوفيتية وظهور الوعي الإسلامي في الأراضي التي خضعت ردحًا من الزمان للسوفيت الملحدين

(١) الوجيز في الاقتصاد الإسلامي، محمد شوقي الفنجري، ٧٩.
(٢) وجوه الإسلام، جورج ريفوار، ٢١.
(٣) الوجيز في الاقتصاد الإسلامي، محمد شوقي الفنجري، ٨٠.

يؤكد عمق المغزى الذي يشير إليه سؤال جرونباوم عن سر خلود الحضارة الإسلامية وتحديها لعوادي الزمن"[1].

تقديم الإسلام على أنّه بديل حضاري عن طريق استثمار القابلية على التمسك بالهوية الإسلامية في أحلك الظروف؛ ذلك أنّ إعادة إحياء الهوية الإسلامية تعد من صيغ التحولات الحضارية، ويمكن أن يقدم بديلًا حضاريًا متكاملًا باستطاعته أن يتحدى الحضارة الغربية بدلاً من أن يكون مصدر تهديد سياسي لها.

العنصر الثاني: القائد المعصوم

عندما يوجد نظام متكامل صادر من لدن حكيم لابد من وجود راعي ومبين له ، وهذا ما أشار اليه القرآن الكريم لقوله تعالى:﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[2].

فالرسل والأنبياء والأئمة المنّصبون من الله هم قادة المجتمع ؛ لما يتمتعون به من العلم والحكمة والعصمة لا كما يتصور البعض من أن إدارة شؤون الناس مسألة سهلة يمكن لأي شخص القيام بها ، والقيادة التي يبحث عنها القرآن الكريم هي الزعامة المتجهة نحو الله تعالى في بعديها الاجتماعي والمعنوي ، بخلاف ما يفهمه البشر في العالم المعاصر من القيادة بأنّها مجرّد زعامة اجتماعية لأنّه يحتاج إلى القيادة بطبيعته "أن دور القائد في الحكومة له الأثر البالغ في نجاحها وعالميتها كما للنظام فيها الأثر البالغ فعليه هذان الأمران هما نقطتي الارتكاز في عالمية الحكومة ونجاحها ، فالنظام هو الإسلام دين الله القويم والقائد ولي لله الإمام المهدي عليه السلام ، وهنا اكتملت الدائرة لانتشار العدل والقسط أمّا فكرة مجيء المصلح العالمي فهي موجود في عقائد الأمم مع بعض الاختلاف ، وتفصيل ذلك موجود في مذهب أهل البيت "ورغم أنّ الأمل بمجيء المصلح العالمي يمتدّ بجذوره في

(١) رؤية نقدية للحضارة الغربية والحضارة الإسلامية (محاضرة)، محمد عمارة، ١١٧.
(٢) سورة النساء، الآية : ٥٩.

رؤية وعقيدة جميع الأمم، وأنها مطروحة في جميع المجالات بأشكال مختلفة ومتنوّعة، إلّا أن فكرة انتظار الفرج وحكومة الإمام الموعود معروضة في الفكر الشيعي بشكل واضح وتفصيلي، بحيث أنّ الرؤية الشيعية تقول بأنّ الإمام المنتظر والمنجى الأخير موجود وحيّ يرزق، وأنّه سيظهر يومًا ما بأمر من الله سبحانه وتعالى، وسوف يملأ الأرض والعالم قسطًا وعدلًا "[١].

وبعد أن سن الله سبحانه شريعة وجعلها منهاجا للناس نصب راعيا لها ، وهذا الراعي ليس مثل الناس في العلم والمكانة والوظيفة بل صاحب مسؤولية كبيرة ، وهي بيان ما سنه الله سبحانه واسماهم الرسل والأنبياء والأئمة ، ولعل الكثير يذهب إلى ضرورة وجود القائد ذات صفاة معينة والفرق بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي في بناء المدينة هو من يقوم بحكمها ويمكن أن نقارن بينهما عن طريق القيام بمقارنة بسيطة بين الفارابي وأفلاطون في تصورهما للمدينة ، فأن أفلاطون بنى مدينته على نظام تراتبي يقوم على التوازن بين القوى الثلاث (الحرفيين، الحراس، الملوك)[٢] ، لكنه لم يهتم للجانب الأخلاقي كما ينبغي رغم أهميته فضلا عن أنّه اقتصر على الحياة الدنيا وتحقيق السعادة فيها.

أمّا الفارابي فقد أرسى دعائم نظريته على أسس إسلامية رصينة ، إذ قسم العالم إلى مدن فاضلة ، ومدن غير فاضلة جاهلة متبدلة فاسقة ضالة نوابت[٣].

ثُمَّ أكد أنّ الاجتماع المدني الفاضل إنّما يأتي نتيجة اختيار الإنسان وأرادته ، ويحدد بعد ذلك الصفات الواجبة توفرها في قائد المدينة الفاضلة في قوله: "ولا يمكن أن تصير هذه الحالة (القيادة) إلّا لمن اجتمعت فيه بالطبع اثنا عشر خصلة قد فطر عليها ومجملها أن يكون حكيما، قوي الجسم قوي العزيمة ، جيد الفهم وافر الذكاء حسن العبارة ، كريم النفس عادلا ينصف الناس من نفسه وأهله ، شجاعا مقداما محب للعلم يتحمل المتاعب في

(١) حكومت حضرت مهدي تنها حكومت جهاني (حكومة الإمام المهدي الحكومة العالمية الوحيدة) سليمان، خدا مراد، مجلة: مبلغان، العدد: ٤٥، ٧٩.
(٢) جمهورية أفلاطون، تحقيق حنى خباز، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ٢٠٠٦، ٣٨.
(٣) الفارابي (فيلسوف المدينة الفاضلة)، فوزي عطوي، دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠٢، ٣٢.

سبيله"[١]، "فهذا الرئيس الأول الذي لا يرأسه أنسان أخر أصلا وهو رئيس المدينة الفاضلة ورئيس المعمورة من الأرض كلها"[٢] ، ويستدرك الفارابي بأنّ اجتماع كل تلك السجايا في شخص واحد يكون نادر فأن كانت في واحد كان هو الرئيس ، وإلّا فالرئيس هو من اجتمع فيهأاكبر قدر ممكن من هذه الصفات ، فإذا تفرقت هذه الصفات في أكثر اثنين "وكانوا متلائمين كانوا هم رؤساء الأفاضل ، ويرى أنّ الحكمة هي أبرز صفات الرئيس الأعلى"[٣] والحقيقة أن عناية الفارابي بأخلاق الرئيس وعدالته نجد أساسا لها في الدعائم التي إرساها الإسلام.

المقارنة

١ – لم تكن نظرية نهاية التاريخ من أبداع فوكو ياما بل كانت موجودة ومطروحة بالفكر البشري ، حيث اعتمد على أفلاطون وهيجل وماركس لبناء نظريته ، أما نهاية التاريخ في القرآن موجودة فيه منذ نزوله وعلى نفس الصياغة لم تتبدل ولم تتحول إلى تحققها بقيام دولة العدل الإلهي.

٢ – تستند أطروحة نهاية التاريخ التي نادى بها فرانسيس فوكو ياما على أنّ الديمقراطية الليبرالية تشكل نقطة النهاية في التطور الأيديولوجي للإنسانية، والصورة النهائية لنظام الحكم البشري ، أمّا الفكر الإسلامي، فهو يؤكد على أنّ مبدأ نهاية التاريخ عند انتصار أطروحته، والمتمثلة في عودة الإسلام لتشكيل المجتمع العالمي العادل على يد الإمام المهدي عجل الله فرجه باتفاق المسلمين.

٣ – أنَّ هذه النظرية بوصفها فلسفة تاريخية دنيوية، تنظر إلى التاريخ بوصفه أمرًا ذاتيًا ومكتفيا بنفسه، وتتجاهل ارتباط التاريخ بالمشيئة الإلهية، ومن هنا فقد اعتبرت الليبرالية الديمقراطية نتيجة ضرورية طبيعية لأداء القوى الدنيوية والتاريخية ، أمَّا العالمية في فلسفة

(١) الفارابي (فيلسوف المدينة الفاضلة) .

(٢) لمحات من تاريخ الفلسفة الإسلامية، زكريا بشير أمام، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، ١٩٩٨ ، ١٦٩.

(٣) الفارابي (فيلسوف المدينة الفاضلة)، فوزي عطوي، ٣٣.

التاريخ الديني، فإنّها بحسب القاعدة تربط ظهور الحالة النهائية للتاريخ ، وقيام النظام العالمي في آخر الزمان بإرادة الله ولطفه ، وعلى هذا الأساس فإنَّه طبقاً للنظرية الدينية حول العالمية، من قبيل: النظرية المهدوية ، لا يكون التكهن بزمن قيام هذه الحكومة العالمية أمرًا ممكناً. وفي الحقيقة فإن الذي يستوجب الحدث النهائي هو إرادة الله واللطف الرباني، وليس شيئاً آخر.

٤ – أنَّ هناك اعترافًا صارخا على فشل النظرية الوضعية في إدارة المجتمع وانتشار الفساد والظلم في المجتمع الغربي ، وهذا مصدره التطبيقات للأنظمة الوضعية والتي تضاءل قسم منها كالنظام الملكي الديكتاتوري الحقيقي، والنظام الاشتراكي الماركسي الشيوعي، وآخر نظام تراهن عليه الأنظمة الوضعية هو النظام الليبرالي بتجديداته، والذي أنتج ما يُسمّى اليوم بالحداثة ، أما الفكر الإسلامي الذي يقدم طرح مفاده : أنّ الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي يمتلك برنامجا عقائديا يشمل كل مناحي الحركة الاجتماعية والسياسية، وبالتالي فإنّ انبعاث هذه التيارات الإسلامية قد تشكل أكبر تهديد إيديولوجي للمنظومة الليبرالية ، وأنّ كل هذه الآيات وغيرها مما يسير في الاتجاه نفسه ، تؤكد على حقيقة أساسية وهي: أنّ للتاريخ قوانين تحكمه وتسيره، وبذلك فالمدرسة الإسلامية تلتقي مع المدرسة الغربية في كون حركة التاريخ خاضعة لنظام خاص وقوانين ظاهرة وخفية ، إلّا أنّ المدرسة الإسلامية ترفض جعل الفرد والمجتمع في خضوع تام لقوانين الطبيعة والمؤثرات البيئية والزمنية ، فالله سبحانه وتعالى يقول:(أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

٥ – أنَّ فلسفة التاريخ لا تنطلق من الفراغ بل من أفكار قبلية ، لكن نقطة الاختلاف أنّ الأفكار القبلية التي ينطلق منها فلاسفة التاريخ الغربيون مصدرها إنساني لفلسفة التاريخ، أمّا فلسفة الفكر الإسلامي هي منطلقات تم استخراجها من القرآن الكريم في صورة مبادئ عامة تشكل مفاهيم استكشافية تجعل فيلسوف التاريخ لا ينطلق من الفراغ ، ولكن فضلًا عن هذه المبادئ العامة هناك معالم يقدمها القرآن الكريم ترشد عملية التنظير في مجال فلسفة التاريخ مثلا: وعد الله بنصر المستضعفين في صراعهم ضد المستكبرين، انتصار الحق

على الباطل.

٦– تعرضت نهاية التاريخ في الفكر البشري ولفوكو ياما إلى نقد كثير على ادل النظرية ومحتواها من علماء الغرب وغيرهم، أمّا نهاية التاريخ في القرآن فهي نظرية ينتظرها العالم كله ، وهي مجيء المخلص وقيام دولة عالمية تحقق كل رغبات الناس وتطلعاتهم.

٧– يرى فوكو ياما توقف التاريخ في الديمقراطية الليبرالية ، أمّا القرآن يرى التاريخ لا يتوقف بل أحداثه مستمرة إلى قيام الساعة.

٨– تناقض فوكو ياما كثيرا في نظريته نهاية التاريخ سواء في عدم وضوح قصده ، أو بتطبيق نظريته ، أمَّا النظرية القرآنية لنهاية التاريخ ثابته ومفهومه في إطارها العام.

٩– لم يصدق في التاريخ أنّ الفكر البشري أقام نظاما متكاملا منذ وجوده وإلى يومنا هذا ، وهذا يدل على عجزه فكيف انتهى التاريخ بالديمقراطية ، أما في الرؤية القرآنية سوف يتحقق وعد الله بنظام عادل في دولة عالمية يقودها الإمام المهدي عليه السلام.

الخاتمة

النتائج

نستنتج من هذا البحث أنّ نظرية نهاية التاريخ لم تكن من إبداع المفكر السياسي فوكو ياما بل كتبت فيها العديد من النظريات والأطروحات التي تتحدث عن فكرة النهايات منذ أنَّ عرف الأنسان نظام الدولة كالاغريق والرومان وغيرهم.

تعد فكرة نهاية التاريخ في الفكر الفلسفي الديني جزءا من المنظومة الفكرية الدينية للتاريخ التي كانت تعتمد بشكل أساس على تعاليم الكتب السماوية، ومن مميزات هذه المنظومة أنّ العقائد السماوية تجمع على أنّ الله تعالى قد خلق الكون من العدم، وخلق الإنسان ليؤدي مهمته في إعمار الأرض، ثم ليرجع الإنسان بعد موته يُبعث ويقف بني يدي الله ليحاسبه على أعماله، وتلك كلها تشمل في مسيرة تاريخية بدايتها الخلق ونهايتها البعث والحساب، ورحلة الإنسان بين تلك البداية وهذه النهاية تجسد مسيرة التاريخ البشري

العام، ومن ثم يغدو يوم القيامة هو غاية التاريخ ونهايته، على أنّ هذه الرحلة قد حظيت على الدوام ومنذ بداية الخلق برعاية الله وعنايته ، وتوجيهه للإنسان في هذه لمسيرة التاريخية البشرية، وتجلت تلك العناية بتتابع الرسل والأنبياء الذين يبعثهم الله تعالى ليرشدوا الناس إلى الطريق القويم الذي يريد لهم الخالق إتباعه.

أنّ فوكو ياما لم ينكر أنّه استند إلى نصوص كلّ من هيجل وكارل ماركس في نظريته، فعند هيجل الّذي تحدث في فلسفته عن نهاية التاريخ كما زامنه في الوقت نفسه كارل ماركس فطرح كلّ منهم نهاية التاريخ من وجهة نظره الخاصة.

الجذور الفلسفية التي انطلق منها فوكو ياما في نظريته نهاية التاريخ من نظرية (افلاطون) التي مفادها أنَّ الأنسان مزيج من مركبات ثلاثة: الرغبة والعقل والثيموس ؛ ليجعل من الثيموس الذي يعني عند أفلاطون القلب والشجاعة ورغبة بالاعتراف بالمفهوم الهيجيلي (جدلية السيد والعبد) ، فاذا كانت الرغبة والعقل معاً يكفيان لتفسير عملية التصنيع وقسم كبير من الحياة الاقتصادية ، فإن الثيموس ضروري لتفسير الطموح نحو الديمقراطية الليبرالية، أي لتفسير نضال الناس ضد الغطرسة والعبودية والتسلط ، فهم يملكون جانبًا ثيموسيًا يتمثل باحترامهم لذواتهم ، وذلك يدفعهم لتفضيل الحكم الديمقراطي الذي يعاملهم معاملة الراشدين لا معاملة الأطفال، ويعترف باستغلالهم كأفراد أحرار.

أنَّ أطروحته جاءت على شكل تنظير لنظام عالمي جديد وفقا لمستجدات اليوم من تحول في الأنظمة السياسية والاقتصادية التي تحكمت في سير التحولات التاريخية، وهذا ما سعى فوكو ياما إلى تأكيده بإقراره في وجود نظام واحد يحقق الاستقرار والسعادة للعالم تحت شعار الديمقراطية في أحضان الليبرالية.

تعرضت نظرية نهاية التاريخ الى انتقاد فى بنائها الداخلي وإلى الأسس التى قامت عليها الفلسفية والسياسية من قبل علماء ومفكرين مسلمين وغربيين.

التوصيات

١- طرح بحوث مفصلة في القوانين القرآنية فيما يخص بناء الحكومة الإسلامية في جميع جوانبها السياسي والاقتصادي والاجتماعي وغيرها.

٢- توسيع البحث حول النظريات الغربية وطرح ما يقابلها من النظريات الإسلامية.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. الأساس الأسطوري لنهاية التاريخ، عبد الفادر بو عرفة، مجلةInsanity ، إنسانيات/ ١١/ ٢٠٠٠.

٣. استخلاف الإنسان في الأرض، فاروق أحمد دسوقي، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٦م.

٤. الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التوريخ، الحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ)، المحقق: سالم بن غتر بن سالم الظفيري، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض –المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٨ هـ –٢٠١٧ م.

٥. أفلاطون والديالكتيكية، فتحي التريكي، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٥م.

٦. موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند،ترجمة خليل احمد خليل، المجلد الأول.

٧. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار تأليف العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى الشيخ محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية المصححة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٨. البعد الديمقراطي، محمد وقيدي، دار الطليعة، بيروت، ط ١، سنة ١٩٩٧.

٩. البعد الديني في دراسة العلاقات الدولية: دراسة في تطور الحقل، أماني صالح، وعبد الخبير عطا، العلاقات الدولية البعد الديني والحضاري، دمشق، دار الفكر، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

١٠. تاريخ العلم، تاتون رونيه، ترجمة علي مقلد، الجزء الأول، الطبعة ٠١، ١٩٨٢.

١١. تاريخ الفلسفة الأوربية في العرص الوسيط، كرم يوسف، مديرية دار الكتب بغداد.

١٢. تاريخ الفلسفة اليونانية في عصورها المتأخرة، المعلة، جميل حليل نعمة، دار الضياء، النجف، ط أولى، ٢٠٠٦.

١٣. تأملات في تاريخ الرومان أسباب النهوض والانحطاط، مونتيسكو، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.

١٤. التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

١٥. التراث والتجديد موقف من التراث القديم، حنفي حسن، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، ١٩٨٠م.

١٦. تفسير التاريخ، عبد العزيز الدوري وآخرون، مطبعة الإرشاد، بغداد.

١٧. التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار الحديث، القاهرة.

١٨. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٩٠.

١٩. تفسير الميزان، للعلامة الطبطبائي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت.

٢٠. تفسير مجمع البيان، الشيخ الطبرسي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤١٥ -١٩٩٥ م.

٢١. جدليّة الفهم عند غادامير، حسين الموازني، مجلّة أوراق فلسفيّة، أل عدد١٠.

٢٢. جمهورية أفلاطون، تحقيق حنى خباز، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ٢٠٠٦.

٢٣. حكومت حضرت مهدي عليه السلام تنها حكومت جهاني (حكومة الإمام المهدي عليه السلام، الحكومة العالمية الوحيدة)، سليمان، خدا مراد، مجلة: مبلغان، العدد: ٤٥، مهر عام ١٣٨٢هـ ش.

٢٤. حوار فرنسيس فوكو ياما مع قناة الجزيرة في برنامج من واشنطن ٨/ ١/ ٢٠٠٤.

٢٥. حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، محمد قطب، القاهرة، دار الشروق ١٩٩٨.

٢٦. خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء، محمد باقر الصدر، تحقيق أحمد ماجد، بيروت: دار المعارف الحكمية، الطبعة الأولى، ٢٠١٤.

٢٧. الخلافة في الأرض، حسن فرحات، دار الأرقم، الكويت، ط ١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢٨. دراسات في فلسفة التاريخ، الملاح، هاشم يحيى، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، بال سنة طبع.

٢٩. الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام – القاهرة، عام النشر: ١٤٢٨ هـ -٢٠٠٧ م.

٣٠. رؤية نقدية للحضارة الغربية والحضارة الإسلامية (محاضرة)، محمد عمارة، القاهرة، مركز الدراسات المعرفية، ٢٠٠٢.

٣١. السنن الاجتماعية وفلسفة التاريخ في المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، ط١، طهران، مركز النشر الثقافي رجاء، ١٣٦٩.

٣٢. العولمة والإسلام رؤيتان للعالم، سيف الدين عبد الفتاح، دار الفكر، دمشق، طبعة أولى، ٢٠٠٩م.

٣٣. الفارابي (فيلسوف المدينة الفاضلة)، فوزي عطوي، دار الفكر العربي، بيروت، ٢٠٠٢.

٣٤. الفكر الإسلامي والفلسفات المعارضة، محمود، عبد القادر، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢، ١٩٨٦.

٣٥. فلسفة التاريخ مباحث نظرية، النجار، جميل موسى، المكتبة العصرية، بغداد، ط أولى، ٢٠٠٧.

٣٦. فلسفة التاريخ، صبحي، احمد محمود، دار النهضة العربية، بيروت، ط ثالثة، ١٩٩٤.

٣٧. الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب، بيصار، محمد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٣.

٣٨. قصة الفلسفة اليونانية، أمين زكي، ط٢، القاهرة، مطبعة دار الكتاب المصرية، ١٩٣٥.

٣٩. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت.

٤٠. لمحات من تاريخ الفلسفة الإسلامية، زكريا بشير أمام، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، ١٩٩٨.

٤١. ما هو التاريخ؟، كار، إدوارد، ترجمة ماهر كيالي وبتار عقل، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ١٩٨٠.

٤٢. محمد رسول الله هكذا بشرت به الأناجيل، بشرى زخاري ميخائيل، عالم الكتب، القاهرة، ط ٢.

٤٣. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، محمد التبريزي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٤. المعجم الفلسفي، إبراهيم مدكور، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٩٨٣.

٤٥. المعجم الفلسفي، المعجم الفلسفي، جميل صلبيا، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢.

٤٦. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية في القاهرة.

٤٧. المعجم الوسيط، مصطفى إبراهيم وآخرون، مطبعة باقري إيران، ط الثانية، ١٤١٨هـ.

٤٨. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام المؤلف: الدكتور جواد علي (ت ١٤٠٨هـ) الناشر: دار الساقي الطبعة: الرابعة ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٤٩. المفصل في فلسفة التاريخ دراسة تحليلية في فلسفة التاريخ التأملية والنقدية، هاشم يحيى الملاح، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧.

٥٠. مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، محمد الشيخ وياسر الطائر، دار الطليعة، بيروت، ط ١، سنة ١٩٦٦.

٥١. مقال أطروحة نهاية التاريخ والأنسان الأخير، جواد صالح مهدي النعماني، أسلوب آخر في القراءة:

٥٢. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

٥٣. منهج البحث التاريخي، حسن عثمان، دار المعارف، سنة ٢٠٠٠، الطبعة: ٠٨

٥٤. موسوعة الفلسفة، بدوي، عبد الرحمن، مطبعة سليمان زادة، إيران، ط أولى، ١٤٢٧هـ.

٥٥. الموسوعة الفلسفية العربية المجلد الأول (مادة نهاية لجورج زيناتي)، ٣٤. زياد معن.

٥٦. نتقد باروخ سبينوزا (B.Spinoza) الفكر اليهودي السياسي وخاصة مقولة "مملكة إسرائيل الكبرى" وأراد أن يستبدلها بنظام سياسي قائم على الحق الطبيعي رغم كونه يهوديا ولعله تفطن أن رغبة في التفوق لن تتحقق بمشاريع قديمة.

٥٧. نظرية نهاية التاريخ وموقعها في إطار توجهات السياسة الأمريكية في ظل النظام العالمي الجديد"، حمد سيف حيدر.

٥٨. نظم هاي كهنه ونظم هاي نوين (الأنظمة القديمة والأنظمة الحديثة)، نعوم تشومسكي.

٥٩. نهاية الإنسان أو مستقبلنا ما بعد الإنساني" (نتائج الثورة البيوتكنولوجية)، فرانسيس فوكو ياما، المجلد العاشر.

٦٠. نهاية التاريخ والإنسان الأخير، فرانسيس فوكو ياما، تقديم مطاع صفدي، ترجمة فؤاد شاهين وآخرون، ١٩٩٣، مركز الإنماء القومي، بيروت لبنان.

٦١. نهاية التاريخ وخاتم البشر، فرانسيس فوكو ياما، ترجمة: حسين أحمد أمين، ط١، ١٩٩٣، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة

٦٢. نهاية العالم والإنسان الأخير، موسى غني نجاد، المعلومات السياسية والاقتصادية، العددان ٦٣ ٦٤ (آذار ودِيْ ١٣٧١هـ.ش)؛ وكذلك العددان ٤٩-٥٠.

٦٣. وجوه الإسلام، جورج ريفوار، طبعة بلوزان، ١٩٥٨.

٦٤. الوجيز في الاقتصاد الإسلامي، محمد شوقي الفنجرى. دار النشر: الشروق- ١٩٩٤م.

٦٥. http://kerbalacss.uokerbala.edu.iq/wp/blog/23/02/2021